الدكتور عبد اللطيف كدائي

الطفل والإعلام

آثار التلفزيون في شخصية الطفل المغربي



المعرفة للجميع

33

سلسلة شهرية

10 دراهم

السلسلة الشهرية المعرفة للجميع

العدد 33

الطفل والإعلام

آثار التلفزيون في شخصية الطفل المغربي

الدكتور عبد اللطيف كدائي

منشورات رمسيس

السلسلة الشهرية
المعرفة للجميع

العدد 33 **الثمن 10 دراهم**

يوليوز 2006

منشورات رمسيس

- العنوان : 2 زنقة ضاية عوة ـ رقم 2 ـ أگدال ـ الرباط .
- ما ينشر في هذه الدورية لا يعبر بالضرورة عن رأيها .
- ملف الصحافة رقم : **98/49**
- الإيداع القانوني رقم :**1998/162**

تقديــم

لقد بات من المؤكد أن قضايا الإعلام اليوم تشكل أحد أهم دعامات الثورة التكنولوجية الحديثة في الاتصالات، وانعكس بلا شك ذلك على الإنسان المعاصر نظراً للتغييرات المستحدثة في آلياته والمستجدات في نمط حياته مقارنة مع ما كانت عليه في العهود السابقة، حيث أحدث الإعلام انقلاباً شبه جذري في كل مجالات الحياة المعاصرة وسلوكات أفراد المجتمع، وطالت التغيرات الأعراف والقواعد والقيم الاجتماعية، هذا فضلاً عما تعرضه وسائله المتعددة في الأجواء العالمية، بعدما حولت العالم إلى قرية صغيرة...

وقد نجحت السياسة بكل مقوماتها وأساليبها في توجيه دفة الإعلام نحو أهدافها الاستراتيجية المرسومة، وتعريض البشرية لحروب وأزمات مفتعلة تارة وحقيقية تارة أخرى. فتوجيه العالم نحو أهداف السياسة بات من مهام الإعلام ووسائله المؤثرة خاصة التلفزيون الذي أضحى القوة الأكثر تأثيرا في العمل على تحطيم القيود الاجتماعية وإعادة التنشئة وفق مفاهيم تربوية جديدة في السلوك الاجتماعي وإقامة

العلاقات على أسس مغايرة... لذا يصعب الحديث عن التلفزيون بصيغة المفرد، لأن هناك عدة تلفزيونات ذات أنماط مختلفة من التمويل وذات وظائف وأدوار مختلفة ومضامين متباينة وإمكانيات تكنولوجية متفاوتة، ولكن مهما تعددت التلفزيونات فإنها تؤكد على أن الإنسان لا يتعلم بالعقل فقط بل بالعاطفة والجسد أيضاً، فالتلفزيون هو متعة الاستعراض والمشاهدة والفرجة.

إن التلفزيون الذي أصبح يحتل مكانة مهيمنة في فضاء الاتصال الجماهيري يوفر اليوم مادة إنتاج ثقافي وفكري غزير، ويشكل ملتقى نقاش يشتد تارة، ويلين تارة أخرى، تشارك فيه مجموعة من مختلف الاختصاصات والمهن: الساسة والمؤرخون، والكتاب والفنانون والمخرجون، والفلاسفة والسينمائيون، وعلماء الاجتماع والنفس، وعلماء الاقتصاد، والحقوقيون والصحافيون ونقاد الفن.

تطرح العلاقة التربوية بين الطفل والإعلام بصفة عامة والتلفزيون على وجه الخصوص إشكالية تربوية بالغة الأهمية والتعقيد، وشكلت هذه العلاقة محورا أساسيا للعديد من الدراسات والأبحاث على المستوى التربوي خلال العقود الأخيرة من القرن الذي ودعناه، فاقتران كلمتي التلفزيون والطفل كثيراً ما يوحي بانطباع سلبي لدى المستمع أو القارئ..

كما لو أن التلفزيون والأطفال لا يتفقان مع بعضهما البعض وذلك من حيث ما يقدمه التلفزيون من برامج أحياناً ، وما نريد نحن أن نقدمه لأطفالنا، وقد أجريت في البلدان العربية وفي المغرب العديد من الدراسات حول تأثير التلفزيون على الطفل، وبعض هذه الدراسات لم تخل من وجهات نظر خاصة وآراء ذاتية، كما أن عوامل الضبط في هذه الدراسات لم تكن كافية، والواقع أن التلفزيون بما يملكه من خصائص يعمل على استقطاب اهتمام وعقول الأطفال والمراهقين وحتى الكبار الذكور منهم والإناث... فالتلفزيون ينافس اليوم المدرسة والأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية، مما أدى إلى إثارة اهتمام المفكرين وتجادلهم في الآثار السلبية المحتملة التي يمكن أن يتركها التلفزيون في حياة الأطفال النفسية والاجتماعية.

يكاد يجمع الباحثون اليوم على أهمية الدور التربوي الذي يؤديه التلفزيون في حياة الأطفال، وهم يجمعون أيضاً -بلا ريب- على جملة من الآثار السلبية التي يتركها التلفزيون في حياة الأطفال النفسية والاجتماعية. فهو يؤثر في انفعالات المشاهد وفي سلوكاته كما يؤثر في قيم المشاهد، وعاداته، وأخلاقياته، في حياته الأسرية والاجتماعية وغير ذلك، ويكون هذا التأثير أكثر شدة على الطفل الصغير محدود الخبرة

والتجربة في الحياة وليس لديه القدرة على النقد والتحليل، إن برامج التلفزيون تعمل على تلقين المادة الإعلامية بطريقة مخططة ومنظمة وهادفة، وتعمل على تشكيل فكر الطفل ووجدانه وسلوكه وقيمه على نحو إيجابي أو على نحو سلبي، ومعظم هذه البرامج لا يربط بينها نظام، أو منهج، أو خطة تربوية تعليمية أو توجيهية، وهي برامج قلما تعتمد على أي تقاليد أو قيم علمية، وما زالت هذه البرامج التثقيفية والتعليمية التي تتصدر بعض البرامج والمسلسلات الموجهة للطفل العربي تتخبط ضمن إطارين هما : إما استيراد برامج تربوية ترفيهية غربية للطفل العربي ومنه المغربي، وهي لا تحمل مضامين تتناسب مع قيمنا وعاداتنا، أو أنها تقوم بإعداد وإنتاج برامج ومضامين بعيدة كل البعد عن اهتمامات الطفل العربي وحاجاته ومشكلاته الأساسية...

وكيفما كان الأمر فإن هذه الدراسة، التي تأتي في إطار التغيرات التي يشهدها الحقل الإعلامي الوطني[1]، تحاول قدر الإمكان تقديم مجموعة من الخلاصات حول هذه العلاقة الشائكة والمعقدة بين الطفل كمتلقي وفاعل وبين الإعلام

(1) منها على الخصوص التجربة الجديدة للقناة التربوية وقناة المغربية القناة الجهوية بالعيون إضافة إلى إحداث المجلس الأعلى للاتصال السمعي البصري.

كأداة أساسية للتنشئة الاجتماعية، وذلك من خلال محاور بحثية تشمل علاقة هذا الفاعل بالأسرة والمدرسة والقيم والعنف والصحة...

ونختتم هذه الدراسة باستطلاع ميداني أنجز حول آثار التلفزيون في سلوك الطفل المغربي بمساهمة عدد من طلبة وحدة إعادة تربية الجانحين بكلية علوم التربية-الفوج الثاني- بإشراف د.محمد الدريج، يستهدف التعرف عن قرب على طبيعة السلوكات السائدة في الأسرة المغربية ونوعية التعاطي مع المادة التلفزيونية من قبل الأطفال والآباء، كما نهدف من خلال هذا الاستطلاع إلى التعرف على أنماط السلوك الأبوية والتوجيهات السائدة داخل الأسرة وتحديدا مدى الحضور/الغياب الأبوي أمام هذه الوضعية.

أولا
وظائف التلفزيون

وظائف التلفزيون

يتساءل كثير من المهتمين عن الأدوار والوظائف التي يقوم بها التلفزيون خاصة لما يتميز به من سرعة هائلة في الانتشار، إن هدف هذه الوسيلة الإعلامية يبقى دون شك هو إيصال رسالة ما إلى المتلقي أيا كان دون تمييز بين الكبير والصغير، الرجل والمرأة، لهذا يضطلع التلفزيون بوظائف أساسية، باعتباره نشاطا فرديا وجماعيا، يشمل كل الأفكار والحقائق والبيانات، والمشاركة فيها. ويمكن تحديد الوظائف الرئيسية التي يؤديها هذا الجهاز في أي نظام اجتماعي على النحو التالي :

الوظيفة الإخبارية :

لقد ارتبط التلفزيون منذ ظهوره بنقل الأخبار وذلك على غرار ما تقوم به الإذاعة[1]، لكن الخبر في التلفزيون يختلف

(1) لقد بدأت فكرة التلفزيون عند العالم جوزيف ماي، وفي سنة 1926 تمكن العالم جوديرد إلى وضع تصميم عملي للتلفزيون الميكانيكي، لكن الصورة لم تكن واضحة بالشكل الكافي. وفي سنة 1930 كانت البداية الرئيسية لاستخدام هذا الجهاز على نطاق واسع وتأسست العديد من المحطات بكل من إنجلترا، أمريكا، فرنسا، ألمانيا، ايطاليا والاتحاد السوفيتي.

عما عليه في هذه الأخيرة، فهو يجسد الحدث وقت وقوعه بالصوت والصورة ، ويصبح الخبر ليس مجرد إعلام بما حدث بل هو صورة حية منظورة ومعايشة للحدث وقت وقوعه، وهنا تظهر أهمية الصورة حيث يشارك الفرد بانفعالاته وأحاسيسه ومشاعره أينما وجد وخاصة أن العلماء قد اثبتوا «بأن الوسائل البصرية أقوى من الوسائل السمعية ب 25 ضعفا، وأن البصر وسيلة سريعة للتسجيل والتذكر، فلا غرابة إذن أن 83٪ من المعلومات التي يعرفها الشخص تأتي عن طرق البصر، فما بالك إذا صاحبت الصورة أصوات حية قوية ثم أضيفت لها الحركة والألوان؟»[2]

لا شك أن التطورات التقنية الهائلة التي حصلت في شتى المجالات قد منحت للإعلام قدرة هائلة، أثرت في الاتجاهات الثقافية بشكل خاص، من خلال اللجوء إلى ثقافة الصورة بدلا من ثقافة الكلمة. فخطاب الصورة كما يرى **جون لوك غودار** J.L.GOODAR يحتوي على جانبين متعارضين ومتكاملين، هما الجانب الدلالي أي ما يقال والجانب الجمالي، أي ما يتضمنه الخطاب دون قوله بشكل مباشر، بل هو منغرس

---

(2) د. إمام إبراهيم «العلاقات العامة والمجتمع» مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1986 ، ص : 203 .

في شكل الخطاب ورموزه الموحية[3]، من هنا فإن احتلال الصورة مكانة في التواصل البشري أهم من الكلمة كان أحد نتائج الاتصال عن طريق الفضاء، واحتلال الأقمار الصناعية المكانة الأولى قبل الأوراق في إحداث هذا التواصل. وبفضل هذا التطور ومن خلال قنوات وشبكات الاتصال، أصبحت الصورة المفتاح السحري للنظام الثقافي الجديد، ولا تحتاج الصورة دائما إلى المصاحبة اللغوية كي تنفد إلى إدراك المتلقي فهي ـ بحد ذاتها ـ خطاب ناجز مكتمل، يمتلك سائر مقومات التأثير الفعال في مستقبليه.[4]

وتتمثل وظيفة التلفزيون الإخبارية في جمع وتخزين ومعالجة ونشر الأنباء والرسائل، والبيانات والصور والحقائق والآراء والتعليقات المطلوبة من أجل فهم الظروف الشخصية والبيئية والوطنية والدولية، والتصرف تجاهها عن علم ومعرفة، والوصول إلى وضع يمكن من اتخاذ القرارات الصائبة.

إلا أن أداء هذه الوظيفة ليس بالسهولة التي يتصورها المرء «فالوقائع والأحداث التي تجري على الصعيد المحلي أو

(3) د. أفاية محمد نور الدين :السينما ... الكتابة والهوية، مجلة الوحدة، أكتوبر – نونبر 1987, ص 27.
(4) د. بلقزيز، عبد الإله : العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي، مارس 1998, ص : 95.

الجهوي أو العالمي هي بالكثرة بحيث لا مفر من غربلتها والمفاضلة بينها وتحديد ما يستحق صفة الخبر منها»[5]، إذ أنها جد متنوعة ويصعب حصرها والإحاطة بها، وعندئذ تتدخل وجهات نظر العاملين في الميدان الإعلامي لتتحكم في صيغة الخبر والطريقة التي عليه أن يصل بها إلى المتلقي، مما يضع موضوعية الإعلام التلفزيوني بالخصوص موضع تساؤل حيث إنه في كثير من الأحيان يتم طمس الكثير من الحقائق وتغطى على الكثير من المصائب والجرائم والفضائح.. ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن الجماهير قد تأثرت مباشرة في أحداث الحربين العالميتين بالتقارير والبيانات الإعلامية ومعلوماتها وتم أخذها بواقع الجد حتى انعكس على التعبئة العامة للناس، وصار التحكم في النصر والهزيمة عن طريقها، كذلك كان الأمر أكثر فظاعة في حرب الخليج الثانية وفي ما يمارس حاليا من أشكال التعتيم المختلفة سواء في الحرب على ما ينعت بالإرهاب، أو فيما يمارس من تقتيل ووحشية على الشعب الفلسطيني والعراقي..

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن عند مقاربتنا لواقع التلفزيون العربي هو : إلى أي حد استطاع هذا الجهاز على

---

(5) ذ. **المسناوي مصطفى**، مقال منشور بجريدة الاتحاد الاشتراكي بتاريخ 1992/01/20 .

تعدد القنوات الفضائية والمحلية منح المشاهد العربي الأخبار التي تستحوذ على اهتمامه والقريبة من همومه؟ نطرح هذا السؤال ونحن نستحضر بالطبع مجهودات مجموعة من القنوات العربية في هذا الإطار والتي استطاعت أن تحقق قفزة نوعية، لكنها تبقى انفلاتات من نوع خاص لا تنسحب على الباقي... وما يسترعي الانتباه أن قطاع الأخبار في عدد من القنوات العربية ومنها المغربية مغرقا في الذاتية، موجها سياسيا وأيديولوجيا، لا تزال تمارس بها وسائل تعتيم شتى مما يعيق إمكانية التفاعل مع الرسالة الإعلامية، وتخلق نفورا لدى المشاهد، الأمر الذي يحد من إمكانيتها المتاحة للتغيير والفعل الإيجابي في المجتمع.

الوظيفة التثقيفية والتكوينية:

لقد اعتبر العديد من الباحثين في مجال التربية بشكل خاص أن تأثير التلفزيون على السلوك الإنساني ولا سيما الأطفال في مراحل تكون شخصيتهم يبقى غير محدود، مما حدا بالباحثة **Chombare-de-lowe** إلى اعتبار التلفزيون كمدرسة مساعدة تعمل على توجيه سلوك الأطفال وتساهم بشكل أساسي في تكوين وتنمية قدراتهم الفكرية والوجدانية، وقد أثبتت العديد من الدراسات أن الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون يكتسبون حصيلة من الكلمات والمفردات تفوق بكثير

نظرائهم من الأطفال الذين لا يشاهدون التلفزيون. ويعود ذلك أساسا إلى قدرة هذا الأخير إلى تحويل الأشياء المجردة إلى واقع ملموس ، الأمر الذي يساعد الأطفال، لاسيما أولئك الذين لم يلتحقوا بالمدرسة بعد، على فهم الرسالة الإعلامية وسرعة إدراكها واستيعابها، ويترسخ ذلك أكثر كلما استخدمت برامج التلفزيون الموجهة للأطفال الأسلوب القصصي والخيال مع الموسيقى والألوان الجذابة ...[6]، وعلى العموم فالتلفزيون ينمي ويكسب أيضا العديد من الخبرات للأطفال والمتعلق أساسا بما تتيحه التكنولوجيا المعاصرة لفهم وإدراك أدوات اشتغال العديد من الألعاب الإلكترونية التي يستعملها الأطفال في سنواتهم الأولى .

ويمكن هنا أن نميز في إطار هذه الوظيفة بين مستويين مستوى المعرفة والثقافة العامة الموجهة للعموم ، ومستوى المعرفة التعليمية الموجة لفئات محددة (التلاميذ والطلبة من خلال ما تقدمه القنوات التعليمية مثلا...) ، فالملاحظ بالرغم من أهمية هذه الوظيفة وحيويتها وحاجة المجتمعات العربية إليها، فإنها للأسف لا تحظى بالأولوية المطلوبة على عكس العديد من البلدان المتقدمة التي أحدثت العديد من

(6) **د. معاجيني أسامح حسن** «الآثار النفسية للتلفزيون على سلوك الطفل» مجلة خطوة، المجلس العربي للطفولة والتنمية، عدد 10 يونيو 2000 ص : 15.

القنوات في العقود الماضية التي تعنى بالبرامج الثقافية والعلمية المتنوعة والمتخصصة ... ومن ثم فإنه لا مناص لبلداننا من اضطلاع قنواتها بهذه المهمة وجعلها رهانا إعلاميا وحضاريا لابد منه لتحديث مجتمعاتنا الموسومة بالتخلف ولتحقيق التنمية المنشودة والمشاركة في التحولات العالمية الجارية، ذلك أن نسب الأمية بجميع أصنافها تظل مرتفعة، بالإضافة إلى استمرار القطيعة مع العلم والمعرفة في العديد من المجالات.

الوظيفة الترفيهية :

تبقى أهم الوظائف التي من أجلها وجد التلفزيون، باعتبار أن الترفيه حاجة أساسية لدى الإنسان سعى دائما على تلبيتها بأشكال مختلفة عبر تاريخه الطويل لذا فهو ليس «مجرد وسيلة تسلية أو التخلص من التوتر، إنه أيضا وسيلة كي نصبح اجتماعيين ونتعلم الأدوار والقواعد والقيم».[7]

يمكن التمييز في هذا الصدد في سوسيولوجيا الإعلام الأمريكية بالخصوص بين نظريتين متباينتين:

---

(7) د. خضور أديب «سوسيولوجيا الترفيه في التلفزيون» مجلة عالم الفكر، أكتوبر - دجنبر 1999، ص : 265.

النظرية النفسية: تفسر هذه النظرية علاقة الفرد بالترفيه التلفزيوني على أساس الخصائص النفسية لهذا الفرد، فهو يقبل على مواد الترفيه لأجل الحصول على إشباع لحاجاته أو يتوهم الحصول عليها. فالفرد في المجتمعات المتقدمة يعيش حالة من الاغتراب واللاتوازن، حسب هذه النظرية، مما يولد لدى المشاهد الرغبة في الترفيه والهروب من الواقع من خلال ما يقدمه التلفزيون[8]، ونلمس لدى هذه النظرية التركيز على الجانب الفردي من حيث أن الفرد هو الذي يقع عليه تأثير هذا الترفيه كما أنه الداعي إليه، إنه الفاعل الذي يقع عليه الفعل.

النظرية الاجتماعية : يطرح أصحاب هذه النظرية مسألة الترفيه التلفزيوني على أرضية اجتماعية باعتبار أن طلب الترفيه لا يعود إلى طلب واحتياج الفرد كما تصور ذلك النظرية النفسية، إن الترفيه حسب هذا التوجه هو استجابة مناسبة لمتطلبات البيئة الاجتماعية للمجتمعات المعاصرة، والمتلقي ليس هو من النوع الشخصي -الفردي بل هو من النوع الاجتماعي[9]، من هنا يبرز مفهوم الطابع الاجتماعي للترفيه

---

(8) **بيام جون ماري** «التلفزيون كما نتحدث عنه» ترجمة نصر الدين العياطي، دار العيون، الطبعة الأولى 1993، ص : 67.

(9) المرجع السابق، ص : 68.

فالاغتراب ليس فرديا وإنما هو اجتماعي، حيث يقول **دينكس ماكاي** : D.MACCAY : «إن بنية غالبية المجتمعات المعاصرة في وضع جعلت الأغلبية الساحقة محرومة من الخيرات المادية ، ولا تستطيع تحقيق هدف تحسين أوضاعها المادية، ففي هذه الحالة يمكن تعويض تلبية هذه الحاجات بتقمص شخصيات ونجوم عالم الترفيه أو بالمشاركة المزيفة في حياتهم الناجحة»[10].

لاشك أن إقبال الفرد على الترفيه تحدده دوافع نفسية واجتماعية متعددة، فحالة الاغتراب واللاتوازن التي باتت تميز أفراد المجتمعات المعاصرة جعلت الرغبة في الترفيه تمثل هروبا من الواقع، وذلك لن تتأتى إلا عن طريق ما يقدمه التلفزيون من برامج، كما أن هذا الإقبال تمثله متطلبات البيئة الاجتماعية للمجتمعات المعاصرة.

تحاول سوسيولوجيا الإعلام الأنجلوساكسونية أن تربط مفهوم الترفيه بالطلب، حيث إن الشخص فردا أو جماعة يأخذ من التلفزيون ما يشبع حاجاته وكأن هذا الأخير غير معني بهذه العملية أو محايد تماما ، كما ترى هذه السوسيولوجيا أن الشخص فردا أو جماعة مغترب، وهذا الاغتراب ناتج عن عدم

---

(10) المرجع السابق، ص : 67.

توازن فردي أو اجتماعي ، لكن هذا الاغتراب ألا تساهم فيه وسائل الإعلام بما فيها التلفزيون، فهل هذا الأخير محايد تماما؟

يؤكد منظرو الترفيه على أنه محايد وبريء ولا يتضمن أي إيديولوجيات ولا يمتلك إطارا مرجعيا ويحدد أهدافه في التسلية وملء الفراغ... لكن العديد من الباحثين يرون أن الترفيه الذي يقدمه التلفزيون لا يقع خارج العملية الاجتماعية برمتها، إنه يحمل مضمونا إيديولوجيا في العمق، كما يؤكد ذلك الباحث **هربرت شيلير** H.Schiler : «إن البرامج الترفيهية هي في الواقع أشكال تربوية ... وأشكال توعية إيديولوجية» [11].

وتبرز هنا مسألة في غاية الحساسية هي تلك المرتبطة بعلاقة الترفيهي بالإيديولوجي، وترجع قدرة الترفيه التلفزيوني على التعبير على محتوى إيديولوجي إلى سببين: إكساء المضامين الاجتماعية حلة بيانات صريحة أو دعاية مباشرة، أو جعلها بهيئة مفاهيم وآراء سبق وأن قبلت، ولا تكون موضع نقاش. ومثل هذا التأثير المقنع للمضامين ذات الطابع الترفيهي البحث والذي لا يثير شكوك المتلقي ويعطيه الشعور

(11) د. خضور أديب، مرجع سابق، ص : 279.

بالراحة، إنما يصل إلى أعمق مواقع وعيه، وهذا النوع من التلقين المذهبي doctrinal القائم بواسطة الترفيه هو الظاهرة التقليدية لما يسمى بالدعاية السوسيولوجية، المصطلح الذي ابتكره المنظر الفرنسي جاك إلول J.Ellul[12]

إذا كان هذا باختصار مجمل ما تحمله الوظيفة الترفيهية برأي بعض المحللين الغربيين، فما الذي تحمله هذه الوظيفة عندنا خاصة في ظل افتقار أغلب الدول النامية إلى صناعة إعلامية حقيقية بصفة عامة، بفعل الافتقار إلى أطر متخصصة في كل مراحل الإنتاج، والاكتفاء بالإنتاج السريع والسطحي، وإهمال العنصر البشري وضعف التكنولوجيا بالإضافة إلى ارتفاع كلفة الإنتاج وتعقيدها... وهذا ما يجعل من واقع إعلامنا ضعيفا وسطحيا ومثيرا للشفقة في كثير من الأحيان . ولعل من السمات البارزة لهذا الإنتاج إضافة للعوائق السالفة الذكر : «قلة الإنتاج المحلي وعجزه عن مواكبة الاحتياجات، ووجود مادة تلفزيونية فقيرة فنيا وسيطرة الإنتاج الشعاراتي والسطحي وتراجع المضمون الثقافي والمعلوماتي لهذه المواد واستخدام التلفزيون أساسا للتمجيد والتعبئة،

---

(12) يراجع في هذا الشأن مجلة الوحدة عدد 89 بتاريخ 1992، مقل بعنوان: التقلزيون الحدود بين الترفيهي والإيديولوجي.

وبالتالي تمت عملية تغريب الإنتاج عن الواقع وتغريب المشاهدين عنه[13]». الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه للمواد الأجنبية بما لها وما عليها، مما يزج بالطفل في موضوعات لا علاقة لها بواقعه وثقافته، الشيء الذي يعيق لا مسألة ترسيخ مفهوم الانتماء الوطني والقومي.

بالإضافة إلى الوظائف الأساسية السالف ذكرها هناك وظائف تكميلية يقوم بها أيضا التلفزيون إلى جانب المؤسسات الاجتماعية الأخرى من ذلك مثلا:

- **وظيفة التنشئة الاجتماعية**: وتنحصر هذه الوظيفة في توفير رصيد مشترك من المعرفة، يمكن الأفراد من أن يعملوا كأعضاء ذوي فعالية في المجتمع الذي يعيشون فيه، ودعم التآزر والوعي الاجتماعيين، وبذلك تكفل مشاركة نشطة في الحياة العامة.

- **وظيفة خلق الدوافع**: ويقصد بذلك أن التلفزيون، يساهم في دعم الأهداف المباشرة والنهائية لكل مجتمع، وتشجيع الاختيارات الشخصية والتطلعات ودعم الأنشطة الخاصة بالأفراد والجماعات، والتي تتجه نحو تحقيق الأهداف المتفق عليها.

---

(13) المرجع السابق،.ص : 290.

- **وظيفة الحوار والنقاش**: يساهم التلفزيون في توفير وتبادل الحقائق اللازمة لتوضيح مختلف وجهات النظر حول القضايا العامة، وتوفير الأدلة الملائمة والمطلوبة لدعم الاهتمام والمشاركة على نحو أفضل بالنسبة لكل الأمور التي تهم الجميع محليا وقوميا وعالميا.

- **وظيفية التربية**: وتتمثل في نشر المعرفة على نحو يعزز النمو الثقافي، وتكوين الشخصية واكتساب المهارات والقدرات في كافة مراحل العمر.

- **وظيفة النهوض الثقافي**: يسعى التلفزيون إلى نشر الأعمال الثقافية والفنية بهدف المحافظة على التراث، والتطوير الثقافي عن طريق توسيع آفاق الفرد، وإشباع حاجاته الجمالية، وإطلاق قدراته على الإبداع.

- **وظيفة التكافل**: وتتمثل في توفير الفرص لكل الأشخاص والمجموعات والأمم، بما يكفل لهم الوصول إلى رسائل متنوعة تحقق حاجتهم في التعارف والتفاهم والتعرف على ظروف معيشة الآخرين ووجهات نظرهم وتطلعاتهم.

وإلى جانب هذه الوظائف التي تنبع أساساً من وجهة نظر الفرد، فإنه يتعين أيضاً التأكيد على ظاهرة جديدة وهي ظاهرة تتزايد أهميتها بسرعة، فقد أصبح الاتصال والإعلام

حاجة حيوية للكيانات الجماعية والمجتمعات، فالمجتمعات ككل لا يمكن أن تعيش وتستمر اليوم ما لم يتم إعلامها على نحو عاجل وسريع بالشؤون السياسية والأحداث الدولية والمحلية، والأحوال الجوية وما إلى ذلك، وتحتاج الحكومات إلى معلومات متنوعة تفد من كافة أنحاء العالم فيما يتعلق باتجاهات نمو السكان وغلات المحاصيل وموارد المياه الخ. وإذا أرادت الحكومات أن تخطط للمستقبل على نحو ديناميكي وبدون توفر بيانات كافية عن أسواق السلع والأموال العالمية، فإن السلطات العمومية سوف تتعثر في أنشطتها ومفاوضاتها. كما تحتاج المشروعات الصناعية إلى معلومات سريعة من مصادر كثيرة لتتمكن من تحقيق زيادة في الإنتاج ومن تحديث عملياتها الإنتاجية، وتعتمد المصارف بصورة متزايدة على شبكة عالمية للحصول على البيانات عن التقلبات الدورية..الخ.

كذلك فإن المؤسسة العسكرية والأحزاب السياسية وشركات الطيران والجامعات ومعاهد البحوث وكافة أنواع الهيئات الأخرى لا يمكن أن تعمل اليوم بدون تبادل يومي كاف للمعلومات، ومع ذلك فإن النظم الجماعية للمعلومات والبيانات لا تتفق مع احتياجات السلطات العامة أو الهيئات الخاصة، فيما عدا الإدارات الحكومية الرئيسية والمؤسسات

والأبناك الكبرى التي تحصل على حاجتها من المعلومات والوثائق، فإن كثيراً من الهيئات المحلية والمصانع والمؤسسات والشركات لا تستطيع الوصول بسهولة إلى مصادر معلومات منظمة، وعليه فإن التركيز لا يزال في أحوال كثيرة منصباً على نظم المعلومات التي تستهدف إشباع احتياجات الاتصال الفردية، ومن الأمور البالغة الأهمية تصحيح هذا الوضع الذي قد يؤثر تأثيراً سلبياً على آفاق تطور الملايين من البشر وخاصة في بلدان العالم الثالث.

ثانيا
الأسرة والتلفزيون

الأسرة والتلفزيون

لاشك أن الوالدين هما - بشكل عام - الأكثر تأثيراً في تشكيل شخصية الطفل في المراحل الأولى من حياته وهما البنك المعرفي الذي يزود الطفل بالمعلومات، ويرد على تساؤلاته واستفساراته عندما يحاول أن يفهم ما يدور حوله، وينعكس ذلك إيجابياً على الطفل، فالاحتكاك المباشر مع الطفل يجعل الأم أكثر إحساساً ودقة ومعرفة بالتغيرات التي تطرأ على طفلها.

لقد أخذت العلاقة بين أفراد الأسرة شكلاً مختصراً بدخول التلفزيون إلى منازلها واتساع المساحة الزمنية المخصصة للبث، وصار بإمكانها، من خلال التحكم عن بعد، التنقل بين القنوات المتعددة كما تشاء، وأصبح هذا الضيف يفرض نفسه على سهراتنا العائلية الحميمية وأصبح التلفزيون ثالث الأبوين، وربما أولهم، بالنسبة للطفل، ومع الأسف، فإن الأبوين كثيراً ما يدفعان الأطفال في هذا الاتجاه تهرباً من المسؤولية الملقاة على

عاتقهما، أو لإلهائهم وضمان هدوئهم؛ وبذلك تضاف إلى هذا الجهاز وظيفة أخرى هي وظيفة «جليس الأطفال».

وبهذا أصبح التلفزيون عضوا مهما داخل الأسرة، وفرض نفسه بشكل ملفت حيث بات يتمتع بمكانة خاصة «لضيف فوق العادة»، إنه يحظى بكل العناية والتقدير ويحاط بالرعاية والاهتمام المنقطع النظير.. فقد غدا اليوم بلا منازع، أقوى وسيلة إعلامية ذات قدرة فائقة على النفاذ إلى كل البيوت، فهي قادرة على تشكيل الذهنيات وإعادة إنتاج المجتمع والتحكم في توجهاته الراهنة والمستقبلية.

كيف استطاع هذا الضيف أن يتحول إلى عنصر مألوف لدى جميع أفراد الأسرة؟ كيف تمكن من مشاركة الأسرة ومزاحمتها في تربية وتنشئة أطفالها وكيف عمل على تهميشها تدريجيا؟ وما هو النظام الجديد الذي خلقه في فضائها؟

دأبت الدراسات النفسية والاجتماعية في تحليل مضمون العلاقة بين الفرد والتلفزيون على الانطلاق من خلية الأسرة باعتبارها الوحدة الأساسية لمقاربة هذه العلاقة، وبالأخص لدى الطفل وهذا ما يؤكده عدد من الباحثين بأن التلفزيون ليس له تأثير مباشر على المشاهد وإنما الشروط التي يتعاطى

من خلالها المشاهد إلى هذا الجهاز هي الحاسمة في مجال هذا التأثير.[1]

إذا كانت الأسرة تقوم بعملية إدماج الطفل في نسيج الثقافة الاجتماعية عبر عملتي الجزر والعقاب حينا والوعظ والإرشاد أحيانا أخرى، فإن التلفزيون لا يستعمل هذه الوسائل بل يتجاوزها إلى وسائل أخرى تتمثل في إمكانية تلقين الأطفال المعلومات والخبرات عن طريق ازدواجية الخير والشر مثلا، والتي تروج لها القصص التلفزيونية الموجهة للأطفال. وتبقى إمكانية التلفزيون في هذا المجال مدهشة، حيث بإمكانها توظيف بعض الوسائل في غرس الثقافة الاجتماعية في لا شعور الطفل عندما تعمل آلية التقمص Identification المعهودة التي تتغذى أساسا بشساعة خيال الطفل. وتذهب بعض الدراسات الأمريكية في نفس الاتجاه[2] لما حاولت ضبط التحولات التي تطرأ على الأسرة ككل عندما أضحت الشاشة الصغيرة أداتها الأساسية في الترفيه ، منها دراسة الباحث ألبيج الذي سعى لدراسة مدى مساهمة التلفزيون في تعزيز

---

(1) **M. Chalvon, P. Corset, M. Sochon** : l'enfant devant la télévistion, Ed. Casterman, Paris 1981, P : 50.

(2) بنعبد القادر محمد، التلفزيون والأسرة ملاحظات أولية، مقال منشور بجريدة الاتحاد الاشتراكي بتاريخ : 15 / 03 / 1991.

بعض المقولبات stéréotypes حول ربات البيوت أو الزوجة من خلال نماذج معينة يقدمها التلفزيون، وتوصل الباحثون إلى أنه في المجتمعات المتقدمة عوض أن يخضع الأفراد لتغيير ما يظلون هم أنفسهم على حالهم، ويبدو أن التلفزيون يجعل منهم مرة أخرى ما هم عليه من قبل، أي إعادة إنتاج نفس الإنتاج الثقافي، بل يرسخ الوجود الذي هم عليه، وينسحب هذا على المجتمعات المعاصرة التي تبدو غير قادرة على تجاوز المرحلة التي وصلت إليها في أشكال وعيها، بل على العكس فهي لا تتوانى في إثباتها وإعادة تشكيلها في كل مرة تتهدد فيها.

ومادامت المجتمعات ليست كلها على درجة واحدة من التقدم، فإنه يجب استحضار أن أفرادها ليسوا على درجة واحدة من الوعي فبالأحرى إذا نظرنا إلى فارق النضج بين الكبير والصغير، أي بين الراشد الذي اكتسب عددا لا يستهان به من القدرات الذهنية والطفل الذي لا يزال في طور النمو والاكتساب والحاجة إلى الآخر... وهذا يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن طبيعة العلاقة القائمة بين التلفزيون والأسرة في مجتمعاتنا النامية «حيث إن كثيرا من البرامج التي تعرضها التلفزيونات العربية مستوردة ولا تنسجم دائما مع البيئة الاجتماعية العربية... واقتحام التلفزيون للبيئة العربية يساعد

على زيادة الفجوة بين العادات والتقاليد المعروفة وبين الظروف المتغيرة الجديدة».[3]

وهكذا فإن تعلم مجموعة من أنماط السلوك لم يعد يقتصر على الأسرة أو الجماعة التي ينتمي إليها الفرد، بل إن التلفزيون يكسب الطفل قيما وأنماط سلوك جديدة، فالطفل أكثر الفئات تأثرا بالتلفزيون فهو لا يكتفي بمشاهدة البرامج الخاصة به، بل يتابع حتى البرامج المخصصة للكبار، ودلت دراسة عربية حديثة تهدف إلى معرفة معايير النمو الطفل ما قبل المدرسة إلى أنه إذا كان 90 ٪ من الأطفال يقضون وقتهم أمام شاشة التلفزيون فإن 8 ,2٪ فقط منهم من يشاهد البرامج الخاصة بهم، أما نسبة 2 ,76٪ تشاهد بالخصوص برامج الكبار[4]. وبينت دراسة أجريت في إحدى المدن الأمريكية أن الأطفال يشاهدون من برامج الكبار ما يعادل أربعة إلى خمسة أضعاف ما يشاهدونه من البرامج الخاصة بهم. وتتعزز هذه المواقف أكثر عندما تغيب رقابة الآباء، فالأطفال يصبحون أسياد أنفسهم يستهلكون البرامج

(3) مقتطف من تقرير المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي منشور بمجلة الدراسات النفسية والتربوية العدد الأول يناير 1982 ص : 89.

(4) **رمزي ناهد** «المفاضلة بين التلفزيون والوسائط الثقافية الأخرى لدى طفل ما قبل المدرسة» مجلة خطوة، المجلس العربي للطفولة والتنمية، عدد 10, يونيو 2000, ص : 21.

التلفزيونية في غياب تام لآبائهم وقد يزيد الوضع تعقيدا عند وجود أكثر من جهاز تلفزي لدى الأسرة الواحدة. وبهذا الصدد يقول E.Chevalier. «إن الآباء يلعبون دور الوسيط، ينبغي أن يعملوا على توجيه أبنائهم لما يريدون مشاهدته، إلا أن ما نلاحظه هو أنهم يجهلون المنتوجات التلفزيونية بحيث أنهم يتحدثون عن برامج لم تعد موجودة منذ عدة سنوات...» (5) وعلى هذا الأساس فإن التلفزيون يسعى دائما إلى ملء الفراغ والفجوات التي يتركها الآباء إلى درجة أضحى الأطفال في كثير من الأحيان وكأنهم أبناء طبيعيين للتلفزيون!

إنه بفعل التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شهدتها الأسرة المغربية، وتراجع الوظائف والأدوار التي كانت تقوم بها إما لصالح الدولة أو المؤسسات الخاصة، فإن التلفزيون بات يحتل موقعا متميزا داخل فضاءات البيوت لعله يمثل تعويضا لا شعوريا عن انهيار السلطة الأبوية التقليدية وتلاشي دور الجدة بالنسبة إلى الصغار...«إذ لا يمكن فصل التلفزيون عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والنفسية لظروف الأسرة والطفل الذي ينتمي إليها، بل لابد أن يتموضع

(5) **Eric Chevalier,** la relation enfant-télévision implications physiques ; psychologiques ; éducatives et sociales, Centre international de l'enfance 1993, P : 36.

في سياق عام إلى جانب وسائل اتصال أخرى (..) فكل هذه المؤسسات مسؤولة على ما يبدو، وبأشكال مختلفة، أمام أية سلبيات أو مخاطر أو انحرافات يمكن أن نلاحظها في المجتمع ..»[6].

وأمام هذا الوضع نجد أنفسنا في كثير من الأحيان أمام نمطين تربويين متباينين (الأسرة / التلفزيون):

• أسرة محافظة لا تستطيع مواكبة التطور المعرفي الهائل الذي يميز الحضارة الإنسانية اليوم، منخورة داخليا، وغالبا ما ترفض الأشكال المقدمة في التلفزيون وتضطر شكليا إلى مسايرة الحداثة باقتناء جهاز التلفزيون تحت ضغوط متعددة. وبالتالي القبول مبدئيا بما يحدثه هذا الجهاز من تأثيرات غير مرغوب فيها لاسيما على الأطفال والمراهقين، وخاصة عندما تفشل إمكانية التحكم فيه وهذا ما يتم غالبا.

• تلفزيون موجه يحاول خلق مجتمع يساير متطلبات العصر الحديث، ويعرض كثيرا من البرامج التي لا تنسجم بالضرورة مع البيئة الاجتماعية، ويعمل على تعميق الفجوات بين أجيال

(6) **د. الدريج محمد**، الصحافة المرئية - المسموعة والطفل، مساهمة في ندوة حول الأسرة والطفل في المجتمع المغربي المعاصر، منشورات عكاظ 1989 ، ص : 21.

الأسرة ويحدث شروخا بين العادات والتقاليد وبين الظروف والمتغيرات الجديدة، ويهدد بلا شك نظام الثقافة والهوية ككل.

إنها معركة غير متكافئة بين الطرفين ويصعب في كثير من الأحيان التكهن بنتائجها وعواقبها، إلا أن الثابت هو قدرة التلفزيون على تعطيل الحوار الأسري وخلق أجواء متوترة على الدوام بالنسبة للعديد من الأسر.. إن مساحة ودفء الحوارات الأسرية صادرها التلفزيون وعاد من النادر جدا أن تجد اليوم أسرة يتحاور أعضاءها بشكل مستمر ودائم، فمتابعة المسلسلات والبرامج... غالبا ما تعطل إمكانية التحاور والتشاور العائلي، «فالتلفزيون يفرض بشكل مطلق الصمت لدرجة أصبحت هذه الوضعية تعبر عن نوع من النمطية تميز الفضاء الأسري والتي باتت ظاهرة تستحق الدراسة من قبل المربيين، بل إنها بتعبير آخر تعدم الحوار الذي من أجله وجدت الأسرة..»(7)، بل في المقابل قد تخلق شجارات بين أفراد العائلة أمام رغبة كل طرف في مشاهدة برنامجه المفضل، فالرياضيون يفضلون البرامج الرياضية وربات البيوت عادة ما يتابعن المسلسلات... وإذا لم يكن تغيير

(7) M. Chalvon, op. cit, p : 58.

القنوات السبب في الشجارات العائلية الحادة، فإن مشكلة النوم المبكر لدى الأطفال تطفو إلى الواجهة[8]. وعلى هذا الأساس إذا قلص التلفزيون مساحة الحوار وساعات النوم لدى الأطفال، فهو عمل في المقابل على توسيع هامش الصراعات الأسرية لما في ذلك من تأثير بالغ الخطورة على الأطفال.

يضاف إلى ذلك أن التلفزيون قد قلص بشكل كبير من أوقات اللعب بالنسبة للصغار بالرغم أهميه اللعب في بناء شخصية الأطفال وتنمية وصقل قدراتهم ومواهبهم، حيث انشغلوا في متابعة المواد التلفزيونية لمدة طويلة... كما أنه ساهم في تقصير الآباء في واجباتهم الأسرية تجاه أطفالهم أو تجاه التزاماتهم الأخرى، فالأم في كثير من الأحيان تهمل تتبع أبنائها ورعايتهم بالشكل المطلوب، كما ينصرف الأب لدى دخوله إلى البيت إلى التلفزيون غير عابئ بما يحدث داخل سقف المنزل...

موقف الأسرة من التلفزيون عموما

هناك من يعتبر التلفزيون أداة تربوية تعليمية، وأنه يزيد من قدرات أطفالهم فكرياً وثقافياً، وأنه يكسب الأطفال عادات

(8) Op. cit, p : 55.

وقيماً مرغوباً فيها، ويذهب بعضهم إلى الاعتقاد بأن التلفزيون يشكل رابطة أسرية هامة، وأنه لا يشكل خطراً يهدد حياة الأسرة، كما ترى بعض الأمهات أن التلفزيون يشكل عامل تنظيم داخل الأسرة، فهو أحد أساليب الضبط والتوجيه التربوي داخلها، وفي هذا يبدو أن الأسرة قد تنازلت عن بعض أدوارها في التنشئة الاجتماعية لفائدة التلفزيون[9]، لكن بعض الناس ينظرون إلى التلفزيون بوصفه أداة استلاب وقهر ثقافي وتربوي، وهم يركزون على مخاطر البرامج التلفزيونية وعلى آثارها السلبية في عقول الأطفال. وثمة مضامين إعلامية تريد من الطفل أن يستهلك الأطروحات الأيديولوجية والسياسية المطروحة عليه، في حين تسعى مضامين أخرى إلى أن يكون كائناً استهلاكياً مجرداً في زمن الاستهلاك المنقطع النظير، ووفق هذا المنظور تقوم البرامج الموجهة بإثقال عقل المشاهد بمواد لا فائدة منها لتجعله في النهاية إنساناً فارغاً وتحاول أن تتحكم في تصوراته ومعتقداته ليكون فرداً سلبياً ومطواعاً وقابلاً للتوجيه وفق غايات الإمبراطورية الإعلامية العالمية !

وهكذا يمكن القول وبشكل عام بأن التلفزيون يتحكم بطريقتين:

---

(9) **Herve bourges et Pascal josèphe,** Un amour de télévision, Librairie Plon 1989, p : 121.

- الأولى رسمية وتتصل بقيم التنشئة الاجتماعية والسياسية وبمبادئ المعتقد.

- الثانية غير رسمية وتوجه القيم الجمالية والذهنية والسلوكية واللباسية وحتى كيفية التعامل مع الأقران[10].

وفي هذا المجال لا بد من تدخل الأهل من أجل ضبط مشاهدة أطفالهم للتلفزيون، مع تقدير ملكات الطفل ورغباته بما يتناسب ونوعية البرامج وخصوصيتها. وهنا نؤكد على احترام رأي الطفل، ولكن بتحديد وقت المشاهدة وعدم تركه لساعات طويلة أمام التلفزيون، وذلك عن طريق الحوار والمناقشة والابتعاد عن القسر التعسفي، وجعل الحوار عفوياً طبيعياً، ومنعهم من مشاهدة أفلام العنف، فالتعرض المتكرر لوسائل الإعلام العنيفة يعلم العنف، ويحفز من لديهم الاستعداد للتصرف بعدوانية (سنتطرق لموضوع العنف في فصل لاحق).

إن الطفل الذي يظل وحيداً ولمدة طويلة يشاهد التلفزيون، ولا سيما البرامج العنيفة، لن يكون طفلاً سعيداً، وهذا كله

(10) المنصف وناس، التلفزة وتحديات التنشئة الاجتماعية، مجلة الإذاعات العربية، العدد 3 لسنة 2000.

يتوقف على فعالية الأهل ومدى مراقبتهم وتوجيههم. فلا بد من سيطرة الأهل بالتفاهم مع الأطفال على التلفزيون، ومساعدتهم على فهم واستيعاب ما يقدم لهم ومن ثم الاستفادة مما يشاهدونه.

لكن هذا لا يعني في نفس الوقت أن آثار التلفزيون في مجملها سلبية على الأسرة، بل أكدت بعض الدراسات المغربية من أهميته، فبفضله عبرت مجموعة من الأسر عن رغبة جامحة في التعلم والاطلاع وعن تعطش كبير للانفتاح على العصر، بحيث إن بعض البوادي المغربية التي ينعدم فيها الكهرباء تحمل بطارية التشغيل من الأسواق الأسبوعية وغيرها كما تحمل مواد التموين ... إن الأسرة القروية إذن تقاوم العزلة - كما عبرت فاطمة المرنيسي عن ذلك(11) - عندما جعلت من التلفزيون إحدى مقومات وجودها الاجتماعي، ونسوق هنا أمثلة لنماذج من المقاهي الشعبية في التجمعات القروية حيث يتم عرض أفلام فيديو أو أفلام القنوات الفضائية... ليتجمع شباب القرية كل مساء لقضاء أوقات ممتعة في حضرة التلفزيون.

(11) دة. المرنيسي فاطمة ودة. البلغيثي مليكة «العائلة القروية المغربية : مواقف من الحداثة والتقليد - مجلة الثقافة الجديدة عدد 23 لسنة 1982 : ص : 51.

وعموما لابد من إيجاد حالة من التوازن ما بين التلفزيون في شكله الحالي المهيمن على القلوب والعقول وبين الأسرة التي بدأ دورها يتراجع بوضوح لصالح هياكل اجتماعية جديدة. ولعل هذا يتطلب إستراتيجية واضحة لإعادة الاعتبار لدور الأسرة في التنشئة الاجتماعية، حيث إنها تشكل أمثل فضاء لتنشئة الأطفال وإعدادهم للاندماج في المجتمع.

ثالثا
التلفزيون في مواجهة المدرسة

التلفزيون في مواجهة المدرسة

إن الدور الذي بات يلعبه التلفزيون في التربية لم يأت من فراغ، بل هناك من الأسباب الموضوعية ما يدعو لذلك، والأكيد أن عوامل عدة بوأته مكانة خاصة منها على الخصوص:

- تراجع الدور التربوي للأسرة في الوقت الراهن في المجتمعات المعاصرة بصفة عامة والمجتمعات العربية على الخصوص -كما أوضحنا ذلك من قبل- لاعتبارات تتعلق بالتغيرات التي طرأت على أنظمة العائلة والقرابة والذي جسده بالأساس ذلك التحول من الأسرة العشائرية الممتدة إلى الأسرة الزيجية النووية، زيادة على دخول المرأة إلى ميدان العمل وما ترتب عنه من مشكلات تربوية عويصة.

- تراجع الدور التربوي للمدرسة في إطار أزمة التعليم الحالية التي يعاني منها المجتمع العربي عامة، ودون الدخول في تفاصيل هذه الأزمة التي حدت ببعض البلدان كالمغرب إلى صياغة استراتيجية للتربية والتكوين ممثلة في الميثاق الوطني

للتربية والتكوين وذلك في محاولة لتعميم تمدرس الأطفال الذين هم في سن السابعة، والعمل على الحد من ظاهرة التسرب الدراسي والانقطاع المبكر للأطفال لاسيما في القرى...

- تزايد انتشار أجهزة التلفزيون وما يصاحبها من أجهزة الاستقبال (البارابول) بتقنياتها المتطورة، والنظر إليها كوسيلة ترفيهية وإخبارية لا غنى لأي بيت عنها.

- الإمكانيات التربوية الهائلة للتلفزيون، فهو ينفرد كما أسلفنا بمزايا خاصة حيث يقدم للمشاهد المعرفة والأفكار والخبرات في مشاهد متكاملة، تعتمد على الصورة الحية والصوت الدال على عمق المشاعر ومغزى الأحداث والوقائع، فهو وسيلة تتميز بالواقعية والاقتراب الشخصي والفورية والجاذبية والوصول إلى الجماهير المتباينة والمتباعدة.

على ضوء ما سبق بات من اللازم علينا التساؤل عن موقف المدرسين عموما مما نسميه بالثقافة التلفزيونية Culture télévisuelle، وبغض النظر عن وضعية التثاقف التي يخلقها هذا الوضع عموما، فإنه لا بد من مقاربة التلفزيون كظاهرة ثقافية جديدة لم تكن موجودة من قبل، الأمر الذي يطرح عدة صعوبات أمام المدرسين الذين عليهم البحث عن صيغة معينة

للتعامل مع هذا الوسيط الثقافي الذي أضحى أكثر أهمية من ذي قبل[1].

قبل ظهور التلفزيون والسينما كانت الثقافة محكومة بالشفهي، أما اليوم فقد تجاوزت ذلك إلى ما هو مرئي. لقد كان المرء يتحكم بشكل كبير في الموروث الشفهي والكتابي عبر آلية السماع والرؤيا، ذلك أنه قد يتغافل أو يتغاضى عن شيء ما كأن يطوي صفحة من كتاب مثلا، أما التلفزيون فهو شيء حي يجعلك تتابع باهتمام غير قادر على الضغط على زر التحكم، كما أنه يمكنك من تغيير القنوات الواحدة تلو الأخرى دونما وعي لتحصل على مرادك.[2]

ولقد نالت أفلام الأطفال اهتماما خاصاً في تنمية معلومات الطفل وتوسيع آفاقه وإكسابه المهارات والعادات السلوكية والقيم الاجتماعية اللازمة لنموه، وتربيته وتنشئته تنشئة حسنة سليمة، واختيار ما يناسب نموه وجدانياً وروحياً وصحياً واجتماعيا وعقلياً..

يقضي أطفالنا ساعات طويلة أمام الشاشة في مرحلة الطفولة المبكرة وفي المرحلة الابتدائية والثانوية، والتسلية

(1) **SULTAN, Josette et SATRE,** Paul : la télévision à la porté de l'école, Institut national de Recherche Pédagogique 1995-p : 69.

(2) Op. cit. p : 39.

هي الدافع الأقوى لمشاهدة الطفل للتلفزيون، والطفل يكتسب كل شيء من خلال الترفيه، الأمر الذي يؤكد أن الطفل، وعلى الرغم من أنه لا ينظر إلى التلفزيون مصدراً للمعلومات والتوجيه والتعليم، وعلى الرغم من أنه لا يشاهد التلفزيون طلباً للمعرفة، ولا يجلس أمامه وهو يقصد التعلم، وكذلك لا ينظر إلى البرامج التعليمية في التلفزيون وكأنها اعتداء صريح على وظيفة التلفزيون الرئيسية وهي الترفيه، نقول وعلى الرغم من ذلك كله، فإن البحوث الإعلامية تؤكد أن الأطفال يتعلمون من برامج التسلية والترفيه أكثر مما يتعلمون من البرامج التعليمية.

وهنا يبرز دور التلفزيون التعليمي الهام في محو الأمية وتكثيف المعلومة لدى المتعلم وتطور المعرفة وتنوع البرامج الثقافية العامة المعاصرة إلى جانب تقديم الترفيه والتسلية بالطبع... وتقول جيهان رشتي في هذا الصدد: «والمعروف أن الأفراد يخصصون في المتوسط لوسائل الإعلام ما لا يقل عن ست ساعات يومياً، لذا نجد وسائل الإعلام أصبحت الوسيلة الأساسية للترفيه وقضاء وقت الفراغ ـ وبصرف النظر عن التأثير المحتمل لوسائل الإعلام على المعلومات والأفكار– فلا شك أن ذلك الوقت الذي يكرس لوسائل الإعلام يحرم الناس من قضاء وقت أطول مع بعضهم البعض، ويأخذ من الوقت

الذي كان يحتمل أن يخصص للثقافة العليا واكتساب المعلومات عن طريق القراءة الشخصية الحرة».[3]

لقد أصبح التلفزيون إذن جزء لا يتجزأ من عالم الأطفال، مما حدا بالمشتغلين بالتدريس إلى متابعة برامجه ليظلوا على علم بما يشاهده تلامذتهم من هذه البرامج بعد أن لاحظوا أن الأطفال يستمدون كثيرا من خبراتهم عن الحياة وعن كل ما يحيط بهم من البرامج التي يشاهدونها .

إن وضع المدرسة في مواجهة التلفزيون يمكن وضع تشبيه له على النحو التالي:

- الشيخوخة في مواجهة الشباب
- الجمود في مواجهة الدينامية
- الأولى قسرية contraignante والثانية ممتعة agréable
- الأولى مضجرة ومرهقة assommante الثانية مسلية amusant.[4]

(3) د. جيهان رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي، بيروت 1987، ص : 622.

(4) SULTAN, Josette et SATRE, Op. cit. p : 38.

وأكدت دراسة للمجلس العربي للطفولة والتنمية[5] أنه على الرغم من دور التلفزيون في تثقيف الطفل وتوسيع مداركه من خلال نقل المعارف والخبرات، فإن العديد من الانتقادات توجه إلى دوره التربوي، من هذه الانتقادات إفساد الأطفال من خلال ما يقدمه التلفزيون أحيانا من إعلانات غير ملائمة وأسلوب معالجته للجرائم والانحرافات، وكذلك عرضه المتكرر لبعض الأفلام التي قد تتضمن ما هو خطر على الأطفال في المرحلة العمرية التي يمرون بها. وذلك بالنظر إلى أن التلفزيون بسيطرته وهيمنته على جمهوره يجعلهم أسرى له «مما أضعف التواصل والعلاقات الأسرية والاجتماعية عامة وجعل الفرد يتوه في دنيا من الوهم ضاعت معها معالم الحقيقة والواقع».

واعتبرت الدراسة في هذا الإطار أن التنشئة التلفزيونية أثرت على أطفال المدارس وحولتهم من نشطاء مندفعين راغبين في فهم الأشياء والشروع في العمل إلى أطفال أكثر حذرا وسلبية لا يريدون التقدم واكتشاف الأدوار بأنفسهم.

كما أن بعض الدراسات التي أجريت خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين كشفت عن وجود علاقة بين

---

(5) منشورة بمجلة النبأ العدد 64 يناير 2001.

مشاهدة التلفزيون والتحصيل الدراسي وأنه «كلما زادت مشاهدة الأطفال للتلفزيون انخفض تحصيلهم الدراسي وإن لم يثبت أن غياب التلفزيون بالضرورة كان مسؤولا عن تحقيق الأطفال لدرجات أعلى» [6].

وعلى هذا الأساس فإن مشاهدة التلفزيون لا تؤدي إلى تقليل وقت اللعب عند الأطفال فحسب، بل إنها أثرت في طبيعة لعب الأطفال ذاتها، خاصة اللعب في المنزل أو المدرسة. وعلى الرغم من دور التلفزيون في النمو الاجتماعي والثقافي للطفل، فإنه قد يؤدى إلى نتيجة عكسية وينمي لدى الطفل شخصية ضعيفة منفصلة عن مجتمعها إذا ما ركز على عرض قيم وثقافات أخرى تؤثر على ذاتية الطفل الاجتماعية والثقافية.

ومن الواضح في الوقت نفسه أن التلفزيون أصبح يشكل مدرسة موازية في نقل المعارف والعلوم، فيما يؤدى عامل التكرار لما يقدمه التلفزيون إلى التأثير في إضافة معلومات جديدة إلى الطفل تختلف - كما وعمقا - عن معلوماته السابقة.

وأشارت دراسة المجلس العربي للطفولة والتنمية إلى أن التلفزيون أتى في المرتبة الأولى بين غيره من وسائل الاتصال

---

(6) المرجع السابق.

ليس فقط من حيث عدد الساعات التي يقضيها الطفل أمام شاشته، ومن حيث قوة تأثيره الذي يصل إلى أعلى مستوياته في المراحل الأولى من المراهقة. ذلك أن التلفزيون يتمتع كوسيلة سمعية وبصرية بقدرات هائلة قد يكون لها دور كبير في تنمية وظائف النمو العقلي عند الطفل والتعلم المجدي عن طريق التسلية، حيث إن الطفل العربي بمختلف فئاته العمرية والاجتماعية يعيش واقعا إعلاميا متغيرا.

لقد بات من الضروري إذن أن يتم إعداد الطفل العربي لاستيعاب العلم والتكنولوجيا ومواكبة التطورات السريعة والمتلاحقة في هذا المجال وتدريب الأطفال من خلال برامج التلفزيون على التعامل والتفاعل مع الكمبيوتر والإنترنت «ليس كوسائل للتسلية فحسب بل كوسائط تعليمية وثقافية».

رابعا
التلفزيون وصحة الأطفال

التلفزيون وصحة الأطفال

كلنا يعلم بأن الطفل من الناحية النمائية في أعمار (4 -8) سنوات ينشط لديه النمو الحركي، وهو يكون بحاجة إلى ألعاب حركية مناسبة لعمره، ولتدريب عضلاته، ومن أجل أن يكتشف قدراته الجسمية، ويصرف المخزون من الطاقة العضوية الموجودة لديه عن طريق اللعب والنشاط والحركة، وبهذا تنمو لدى الطفل مهاراته الحركية، ويقوى جسمه، وتتحسن مهاراته العقلية. لذلك فإن الجلوس لفترة طويلة أمام التلفزيون يفوت فرصة النمو الحركي اللازم للطفل، هذا علاوة على أن الجلوس لساعات أمام التلفزيون يؤثر سلبا على حواس الطفل وصحته، وأكدت الدراسات التي أجريت حتى الآن في كل البلدان أن للتلفزيون أثر سيئ على تفكير الطفل وصحته، فالخمول الذي يفرضه الجلوس لمدة طويلة أمام الشاشة الصغيرة يشكل تهديداً حقيقياً لصحته الجسدية، وأيضاً يصرف الطفل عن النشاطات الجسدية الأخرى كالرياضة واللعب... وسنتطرق هنا تحديدا إلى التأثيرات المثبتة علميا لهذا الجهاز على بعض الجوانب الصحية للأطفال منها على الخصوص مشكل البدانة أو السمنة، والقدرات السمعية عند الأطفال واكتساب اللغة.

1- التلفزيون ومشكلة السمنة:

تعد السمنة Obésité وزيادة الوزن حالة فيزيولوجية قد لا تعتبر مرضاً بحد ذاتها، ولكنها عامل رئيسي مهم للعديد من الأمراض، والسمنة زيادة غير طبيعية في دهون الجسم سواء في جميع أجزائه أو في مواضع محددة منه. ولا يوجد حتى الآن معيار واحد متفق عليه عالمياً للوزن السوي للبالغين، لكن قد نجد معايير خاصة لأوزان الأطفال متعارف عليها عالميا تواكب مراحل نموه المختلفة.

وتعتبر السمنة أحد الأسباب الرئيسية للإصابة بارتفاع ضغط الدم والسكري والتي تزيد من خطر الموت المبكر، والسمنة أيضا عامل لحدوث تصلب الشرايين، وبعض أنواع الاضطرابات كسرطان الثدي والبروستات، وبعض الاضطرابات المعدية والمعوية ومنها الحصاة الصفراوية. وقد أثبتت الإحصائيات والدراسات أن السمنة من أكثر أمراض التغذية انتشارا، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا لماذا تعاني الدول العربية من السمنة بنسب جد مخيفة؟

لقد شهدت المنطقة العربية ومنها المغرب بطبيعة الحال العديد من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية خلال العقود الثلاثة المنصرمة، وقد أثرت هذه التغيرات على نمط وأسلوب

الحياة وكذلك العادات الغذائية، مما أدى بدوره إلى ظهور بعض المشاكل الصحية المرتبطة بالمدن مثل السمنة وأمراض القلب التي أصبحت السبب الرئيسي للوفيات[1].

ومن هنا ظهرت الحاجة الملحة إلى دراسة العوامل المؤثرة عليها ومدى انتشارها سواء عند الأطفال أو الكبار، والمعروف أن الأطفال الذين يعانون من السمنة في مرحلة الطفولة يميلون للسمنة في مرحلة البلوغ، لذا فإن الاهتمام بالسمنة في الطفولة يجب أن يلاقي اهتماما كافيا وتكاثفا في الجهود من قبل الأسرة والمؤسسة التعليمية والمجتمع.

غالبا ما تكون عوامل الإصابة بالسمنة معقدة ومتشعبة، وقد أظهرت الدراسات أن هناك عوامل وراثية وبيئية مرتبطة بالسمنة إضافة إلى العادات الغذائية المكتسبة، فإلى جانب التغيرات الهرمونية والفيزيولوجية في الجسم مثل اضطراب إفرازات الغدة الدرقية أو الغدة النخامية، والأسباب الوراثية، فإن زيادة تناول الطفل للأغذية الدسمة التي تحتوي على السعرات الحرارية العالية مثل تناول الوجبات السريعة والإقلال من تناول الخضراوات والفواكه يولد فائضا من الطاقة يؤدي للسمنة، ومن جهة أخرى فإن قلة ممارسة النشاط الرياضي أو بذل أي مجهود يعد عاملا من عوامل السمنة السريعة. إجمالا فإن النظام الحياتي وما ينطوي عليه من

(1) تقرير منظمة الصحة العالمية لسنة 2004.

جوانب رفاهية قد أسهم بصورة مباشرة في ازدياد المصابين بالسمنة المفرطة[2].

ومن العوامل المهمة التي عملت على إظهارها التجارب والأبحاث خاصة تلك التي أجريت في البلدان الغربية منذ أزيد من ثلاثة عقود نجد التلفزيون، حيث نجد نسبة كبيرة من الأطفال تتناول الأغذية السريعة والحلويات عند مشاهدة التلفزيون لمدة تزيد على الساعتين يومياً، الأمر الذي له كبير الأثر على النظام الغذائي للأطفال. إضافة إلى انعدام الحركة في فترات المشاهدة مما يجعل مهمة الجسم عسيرة في التخلص من نسب الطاقة الزائدة، وبفعل التراكمات اليومية للسعرات الحرارية الزائدة تبدأ أولى بوادر السمنة في ظرف جد وجيز..

2 - تأثير على القدرات السمعية واكتساب اللغة:

إن مشاهدة برامج التليفزيون وأفلام الفيديو على وجه التحديد طوال اليوم قد يكون له تأثير مضاد على إمكانية الأطفال على الاتصال والتخاطب على المدى البعيد، لا من حيث اللغة المنطوقة ولكن من حيث قدرتهم على القراءة

(2) د. جاسم أحمد. السمنة الخطر الأعظم. مقال منشور بموقع إيلاف www.elaph.com.

والكتابة. إن هناك عاملاً مهماً ومؤثراً يبدأ في سنوات ما قبل المدرسة ويمتد إلى السنوات الأولى من المدرسة الابتدائية، وإن لم نتعرف عليه ونتعامل معه فقد يمتد تأثيره إلى ما بعد ذلك. وهناك كم متزايد من الأدلة التي تشير إلى أن التعرض للتليفزيون طوال اليوم من شأنه الإضرار بشكل كبير بقدرة الأطفال على الاستماع. ففي دراسة بحثية طويلة الأمد، أجرتها الدكتورة سالي وورد S. WOORD[3]، اختصاصية في معالجة مشكلات التكلم والتخاطب، اكتشفت أن عدداً متزايداً من الأطفال، البالغين من العمر تسعة أشهر، لا يستطيعون أن يميزوا صوتاً أمامياً واضحاً بسبب وجود رواسب ضوضاء خلفية مصاحبة لهم. وحينما بدأت سالي وورد في مشاهدة الأطفال وفحصهم طوال اثني عشر عاماً مضت كانت نسبة من يعانون هذه العوائق 20٪، بيد أن هذه النسبة أصبحت الآن ما بين 35 إلى 40٪ ومازالت في تزايد. وقد قامت سالي بمزيد من الأبحاث التي أشارت إلى اعتبار التليفزيون المسؤول عن وجود ضوضاء مستمرة مترسبة في ذهن الأطفال. فالتلفزيون حينما يكون مفتوحاً، من الأفضل للآباء ألا يتحدثوا مع أطفالهم لأنهم لن يكونوا قادرين على الاستماع إليهم. وفي ضوء ما سبق، نجد أن خمسي 5/2الأطفال في الوقت الحاضر يخفقون في تعلّم الانتباه لصوت آبائهم بالشكل المطلوب. وما لم يتم معالجة

(3) نشر بمجلة المعرفة، عدد (34) - مايو 1998

هذا الخلل لدى الأطفال سيصبحون عندما يبدأون دراستهم الأولية غير قادرين على الانتباه لصوت مُعلمهم أيضاً. وهذا على الرغم من توفر فرص مهمة للتفاعل اللغوي في المدرسة، إلا أنه من الواجب أن تتطور في النهاية مهارات الاستماع واللغة. لكن المشكلة تكمن في أن الضرر الذي قد لحق بالطفل من جراء التليفزيون يكون من المتعذر إصلاحه أو علاجه خصوصاً فيما يتعلق بقدرة الأطفال على اكتساب مهارات القراءة والكتابة.

وقد اكتشف الباحثون، في السنوات الأخيرة، أن العنصر المميز في تشخيص الأطفال غير القادرين على القراءة يسمى «الوعي الخاص بعلم الأصوات الكلامية» ويقصد به القدرة أو عدم القدرة على التوافق مع أصوات اللغة. وما لم يكن المرء على دراية بأصوات محددة للغة، سيصعب عليه الربط بين الكلمات التي نتكلمها والرموز المكتوبة في صفحة. ويبدو أن وعي الأطفال بالأصوات يتطور على مراحل فيبدأون بالتعرف على الكلمات ككل، ثم يصبحون تدريجياً على دراية بالأصوات الفردية داخل تلك الكلمات[4].

قبل ظهور أجهزة التليفزيون والفيديو كانت مهمة الآباء والأخوة الكبار تحديدا هي شغل وقت الأطفال الصغار

---

(4) Capin, Jean. op. cit P. 49.

والاهتمام بهم. وكانت الطرائق التقليدية لإلهاء الصغار متمثلة في ترديد الأغاني المسلية وأناشيد وقصص وحكايات فترة الحضانة، والتي تتميز بالوزن الشعري والتكرار والجناس والسجع وأشكال اللغة النمطية المختلفة التي تطور وتنمي المهارات السمعية لدى الأطفال. ومع ذلك فبمجرد فتح أجهزة التليفزيون الآن، تنعدم الحاجة إلى المتعة السمعية. ويذكر لنا مربو دور الحضانة ومعلمو المدارس أن الأطفال يلتحقون الآن بالمدارس دون أن يكون لديهم الذخيرة التقليدية التي اعتدناها من الأغاني والأناشيد التي كانت تُلقى فيما مضى على مسامع الصغار منذ نشأتهم الأولى. أما الشيء البارز في أطفال اليوم فيتمثل في قدرتهم على التجاوب مع الحافز المرئي، لا الصوتي، للشاشة الذهبية. وإذا لم تعوضهم الأنشطة اللغوية التي يلمون بها في سنوات الدراسة الأولى عما فقدوه قبل بدء مرحلة تعلم القراءة والكتابة الرسمية، فربما أصيب جزء كبير منهم بأعراض العجز عن القراءة بسبب عوامل البيئة الخارجية.

والواقع أنه لا مجال لإعادة عقارب الساعة إلى الوراء، ولا فائدة من جعل الآباء يشعرون بالذنب من جراء رغبة أطفالهم في مشاهدة التليفزيون.. لكن من الضروري أن يعرف الآباء مدى أهمية إغلاق جهاز التليفزيون لفترة من الوقت كل يوم، وأهمية التحدث مع أطفالهم والاستمتاع معهم بإيقاعات اللغة ونماذجها. فهي وسيلة

بسيطة لتحقيق المتعة والتسلية، لكنها أيضاً بداية لا بأس بها لتعويد الأطفال على الأصوات. وهناك حاجة ماسة أيضاً إلى مطالبة مدرسي رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية بأن يعدلوا وسائلهم في التعليم لتطوير هذا الوعي اللغوي، وتعويض الأطفال الذين فاتهم نصيب كبير من هذا الأمر. علاوة على ذلك يجب إجراء تقويم منتظم ودوري للأطفال ليتبين من هم بحاجة إلى مزيد من المساعدة ولو على أساس دراسة كل حالة على حدة. إن معلمات دور الحضانة والسنوات الأولى الابتدائية يلعبون دوراً مهماً في النظام التعليمي.

3 - احتمال وجود علاقة بين التليفزيون ومرض الزهايمر

حذر بحث علمي جديد[5] من أن مشاهدة التليفزيون لأوقات طويلة وعدم القيام بنشاط بدني قد يكون له علاقة بمرض خرف الشيخوخة المعروف بالزهايمر، وتتمثل معظم المخاطر التي يسببها المرض في المشكلات التي تلحق بالذاكرة والنطق والإدراك.

وقد استندت هذه الدراسة التي أجراها باحثون أمريكيون على مقارنة الهوايات المفضلة لمجموعة من مرضى الزهايمر

(5) بحث نشرت نتائجه على الأنترنيت على الموقع: www.albawaba.com

ومجموعة من الأصحاء. وبينت المقارنة أن مشاهدة التليفزيون كانت الهواية المشتركة بين مرضى الزهايمر، وأن الأشخاص المصابين بالمرض كانوا أقل ميلا للهوايات الفكرية ولا يمتلكون عددا كبيرا من الاهتمامات قياسا بنظرائهم الأصحاء.

وتشير الأرقام في هذا الصدد إلى أن حوالي سبعمائة ألف شخص مصابون بالمرض في المملكة المتحدة، أي أنه يصيب واحدا من كل عشرين تتراوح أعمارهم بين السبعين والثمانين عاما، وواحدا من كل خمسة تزيد أعمارهم عن الثمانين.

إن الذهن يشحذ في الظروف العادية من خلال القوى التي تؤدي إلى تطوره والتعلم واحد من هذه القوى، لكن مشاهدة التليفزيون تجعل المرء في حال أشبه باللاوعي ومن ثم يصعب عليه تعلم أي شئ. وترجح الدراسة التي نشرت ضمن مطبوعات أكاديمية العلوم الأمريكية أن الأشخاص الذين يتسمون بعدم النشاط تزيد لديهم إمكانية الإصابة بالزهايمر بنسبة 250 ٪.

ومع ذلك فإننا نتوخى بعض الحذر فيما يخص نتائج هذه الدراسة التي يبقى التأكد منها رهين الزمن.

خامسا
التلفزيون أداة لتغيير الاتجاهات والقيم

التلفزيون أداة لتغيير الاتجاهات والقيم

يشكل السلوك الإنساني وحدة موضوعية مترابطة، وهو نتيجة لتفاعل وتداخل عوامل وعناصر عديدة، فموقف الإنسان كالصدق والعدل والوفاء والإخلاص، أو الكذب والنفاق وتناول المخدرات، وممارسة الاحتكار، هو في حقيقة الأمر مرآة تعكس لنا عدداً من العناصر التي تفاعلت فيما بينها، لتجعل من ذلك الفرد إنساناً سوياً أو محترفاً للإجرام، أو محتكراً جشعاً، أو إنساناً متوازن الشخصية، أو مريضا يعاني من اضطرابات ما.

إن الدراسات والبحوث التي أنجزت في ميادين علم النفس وعلم الإجرام وعلوم الاجتماع والطب والفزيولوجيا، استطاعت أن تقدم لنا تحليلاً للسلوك الإنساني، وترجعه إلى عوامله ودوافعه الأولى، فكشفت تلك البحوث والدراسات على أن الموقف السلوكي هو مركَّب من تفاعل عدة دوافع وعوامل ونوازع ذاتية وبيئية ووراثية واجتماعية...

إن الأزمات والعقد والمشاكل النفسية، وحالات الانحراف والممارسات السلوكية غير الطبيعية التي تظهر على مساحات واسعة من جيل الشباب، كظاهرة التمرد على الأعراف والقوانين، والشذوذ الجنسي، والإجرام والسرقة والعدوانية، وانحلال الشخصية والتسكع، وتناول الكحول والمخدرات، والانتحار والأمراض العصبية والنفسية، التي كثيراً ما تتحول إلى أمراض جسدية. إن كلّ تلك الظواهر والحالات يمكن إرجاعها إلى العوامل الأساسية التي كونت الشخصية. والأكيد أن الإعلام والتلفزيون على وجه الخصوص قد أسهم فيها من خلال التغير القيمي الذي يحدثه تدريجيا في المجتمعات التي لا تتبنى نفس النسق أو المنظومة القيمية، فهو يمثل مرآة القيم الاجتماعية السائدة وموزع أساسي لقيم جديدة قد تكون في غالب الأحيان دخيلة، فهو المربي الأول الذي يجده الطفل أمامه طوال الوقت، فالقصص المصورة والمشاهد المتنوعة زيادة على طاقم المنشطين والمنشطات يعملون بلا شك على غرس قيم جديدة بعضها يهاجم بشدة الممنوعات والطابوهات الاجتماعية. ويظهر ذلك جليا من خلال استعراض كافة العوامل التي تشترك في صنع سلوك الفرد والتي عادة ما يتم تحديدها وفق الشكل التالي:

1. الأسرة وظروف التربية الأولى؛
2. التربية المدرسية؛
3. الإعلام؛
4. السلطة والقوى السياسية؛
5. الثقافة والمعتقد الديني.

يمكن تعريف التنشئة الاجتماعية على أنها عمليات التعليم والتعلم والتغير والاكتساب التي تتعرض لها شخصية الطفل أثناء تفاعله مع الآخرين، وتهدف أساسا إلى إكساب الطفل القيم المناسبة والمعايير، والاتجاهات التي تمكنه من الاندماج في جماعته والتوافق الاجتماعي معها. ومن الواضح أن وسائل الإعلام تؤدي دوراً مهماً في التنشئة الاجتماعية، فهي تعمل على تعميق قيم اجتماعية معينة وترسيخها لدى الطفل، فالتلفزيون مثلا يعمل على نقل الطفل من عالمه الواقعي إلى عالم متخيل، لذا فإن الأفلام والقصص التي يشاهدها الطفل من خلال البرامج التلفزيونية، قد تكون لها وظيفة التسلية كأمر واضح لكن وظيفتها الكامنة هي دمج الكثير من القيم في شخصية الطفل التي يصبح لها فيما بعد تأثير كبير على سلوكه وميولاته. وهكذا فإن هذه القيم توجه سلوك الطفل وتصرفاته.

وتكمن خطورة الكثير من البرامج والأفلام التي تعرض للأطفال في العالم العربي أنها لا تنتمي إلى البيئة العربية تحديدا، بل هي إما مترجمة أو مقتبسة أو مصنعة في الخارج، وهي في أغلب الأحوال لا تتفق مع قيمنا الحضارية والاجتماعية. وقد خلصت معظم الدراسات التي أجريت عن آثار التلفزيون في الطفل إلى كونه يساعد على عملية التقمص، كما تشكل بعض البرامج التلفزيونية خطورة على تفكير الطفل لما تتضمنه من أفكار غير ملائمة وعادات غريبة عن بيئة ومحيط الطفل، كما خلصت هذه الدراسات إلى ضرورة إعادة النظر فيما يقدم من مواد غير عربية للأطفال. ومن التساؤلات الخاصة التي يمكن طرحها في هذا الصدد ما يلي:

- كيف تسهم البرامج التلفزيونية في تنشئة الطفل وإكسابه القيم ومدى توافق ذلك مع بيئة الأطفال؟

- ما هو الطابع الخاص الذي تتميز به هذه القيم (دينية - اجتماعية - وطنية)؟

- هل طريقة عرض القيم في البرامج التلفزيونية أكثر جاذبية من طريقة عرضها في المناهج الدراسية مثلا أو من خلال التربية الأسرية ؟

وفي دراسة عربية حديثة[1] حاولت إجراء مقارنة بين القيم المنقولة عن التلفزيون والقيم المنقولة عن طريق النظام المدرسي، أجريت على عينة من التلاميذ واعتمدت على مقارنة أربعة مسلسلات للأطفال مع مقررات سنة دراسية، تم التوصل إلى النتائج التالية:

أولاً: فيما يخص طبيعة القيم الكامنة في المناهج والبرامج التلفزيونية: كشفت الدراسة من خلال المقارنة بين مضمون كلٍّ من كتابي القراءة والمسلسلات التلفزيونية المفضلة لدى الأطفال أن هناك:

1- اختلاف القدوة في كل من الكتاب المدرسي والمسلسلات، فالقدوة في المنهج كانت المجاهد المسلم أما في المسلسلات فقد كانت شخصيات سلاحف النينجا الخيالية والمحارب الأمريكي، وهي شخصيات لا تعبر عن واقعنا ولا تراثنا العربي- الإسلامي.

2- تأكيد الكتاب المدرسي للقيم المقبولة دينياً واجتماعياً، ولم يتعرض كثيراً للقيم السلبية، في مقابل ذلك نجد أن

(1) دراسة نشرت على صفحات الأنترنيت بالموقع العربي www.arabia.com للباحثة : نوف بنت إبراهيم آل الشيخ بعنوان : «الطفل والتلفزيون : ازدواجية القيم وتناقضها» 2002.

البرامج التلفزيونية للأطفال والممثلة في المسلسلات الأربعة (1- مسلسل كابتن ماجد 2 - مسلسل سالي 3- مسلسل سلاحف النينجا 4 - مسلسل نساء صغيرات) احتوت على كثير من السمات السلبية التي تكررت على مدار الحلقات.

د. موجهات السلوك السلبية في المسلسلات زادت بشكل كبير على موجهات السلوك السلبية في الكتاب المدرسي، فقد بلغت في المسلسلات 1230 تكراراً في مقابل 15 تكراراً في الكتاب المدرسي.

ثانياً: مدى توفر القيم التي تنظم سلوكيات الطفل في البرامج التلفزيونية:

أوضحت نتائج الدراسة أن ثمة مظاهر إيجابية عديدة للبرامج التلفزيونية إلى جانب السلبيات، ومن أبرز هذه السلبيات ما يلي:

1. لم تركز المسلسلات الأربعة على النواحي التي تقوي ارتباط الطفل بهويته وإثراء ثقافته، وإنما هناك كثير من التصرفات والأفعال المخالفة للثقافة الاجتماعية للمجتمعات العربية، مثل شجرة أعياد الميلاد المسيحية، وكذلك الدعاء قبل الأكل بضم اليدين وأصوات أجراس الكنيسة.

2 ـ تحتوي بعض المسلسلات «سلاحف النينجا» على بعض العبارات والكلمات المنبوذة اجتماعيا.

3 ـ احتوت المسلسلات الأربعة على عدد كبير من الصور والمشاهد المتضمنة للعنف.

ثالثاً : مدى ارتباط المسلسلات الأربعة بمجتمعاتنا:

1 ـ كشفت الدراسة أن هذه القصص تحكي واقع مجتمعات مختلفة عن مجتمعاتنا سواء في موضوع القصة أو الأحداث الثانوية المرتبطة بها.

2 ـ كذلك ما يحيط بهذه المسلسلات من شخصيات ومواقف سواء في شكل المنازل، أو طريقة اللباس والأكل... كلها تختلف عن مجتمعاتنا، بل وتعد في بعض الأحيان غير مقبولة اجتماعيا.

رابعاً: مدى جاذبية عرض القيم في البرامج التلفزيونية عنها في المناهج الدراسية:

أوضحت الدراسة الاختلاف في الجاذبية فيما يتمتع به التلفزيون من خصائص:

1 ـ يعتمد التلفزيون على حاستي السمع والبصر وهما يستقبلان الصوت والحركة والصورة، مما يزيد استيعاب الطفل وجاذبية التلفزيون.

2 ـ الطفل في المدرسة والبيت يجد نفسه مراقباً دائماً وباستمرار، لكن عند مشاهدته برامج التلفزيون يتجه إليه باختياره الحر ويختار البرامج بنفسه، والمشاهدة لا تخضع للمراقبة. كما أن الطفل يجلس بالطريقة التي تعجبه فيصبح لديه وهم كبير أن لا أحد يعلّمه أو يوجهه من خلال شاشة التلفزيون.

3 ـ كذلك تعمل المسلسلات على نقل الطفل من عالمه الواقعي إلى عالم خيالي، يتقمص خلالها الطفل إحدى الشخصيات المحببة إليه.

من خلال ما سبق ينبغي التأكيد على أن التلفزيون أكثر تأثيرا في الأفراد من خلال ما يبثه من قيم بالمقارنة مع المدرسة، فلا أحد يجادل في كونه يهدف إلى إحداث أكبر الأثر على الأفراد وعلى الجماعات على حد سواء، وتأثيره هذا يستهدف أساسا ميولات الأفراد من مختلف الأعمار، ويتخذ أشكالا ومضامين متعددة تشمل الأفكار والأذواق والمواقف والاتجاهات والقيم والسلوك، فالتلفزيون من خلال ما يبثه يمتلك قدرة هائلة على تغيير نظرة الناس إلى الحياة وإلى العالم من حولهم، من خلال تغيير مواقفهم تجاه الأشخاص والقضايا، فيتغير بالتالي، حكمهم عليها وموقفهم منها.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المضمار هل ذلك مرتبط أساسا باستعدادات الأفراد؟ في محاولة للإجابة، نجد البعض يؤكد على أن الناس غالبا ما يختارون ما يقرأون وما يسمعون وما يشاهدون وفقا لما ينسجم مع ميولاتهم وينبذون ما يخالف ذلك، فالمدخنون مثلا لا يأبهون كثيرا بما يقال عن أضرار التدخين...

في عملية تغير الموقف والاتجاه سواء على مستوى الأشخاص والقضايا أو على مستوى القيم والسلوك، يبقى الإعلام عاملاً مؤثراً ورئيساً في عملية التحول هذه، فمن خلال الرسائل الإعلامية (المعلومات) الصحيحة، أو المشبوهة، أو حتى المغلوطة، التي يقدمها التلفزيون يشكل الفرد من الجمهور موقفه، إن الإنسان أياً كان لا بد أن يكون له حكمه الخاص على كل ما يصادفه في بيئته، من أفراد أو قضايا أو سلوك، هذا الحكم تشكل لديه على أساس من المعلومات المتوفرة لديه، ألسنا في طفولتنا نحكم على الأشياء (صواب أو خطأ) من خلال «المعلومات» التي يوفرها لنا آباؤنا، وكذلك يفعل أطفالنا انطلاقا من هذه القاعدة نفسها، إن التلفزيون بما يبثه من كم هائل من الرسائل الإعلامية «معلومات»، وسع من مساحة نفوذه في عقول أطفالنا على حساب «المعلومات» التي نوفرها نحن لهم، كما أنه استحوذ على الجزء الأعظم من

مصادر المعلومات التي نستقي نحن منها فهمنا وبالتالي حكمنا على الأشياء. وهكذا تجاوز تأثيره مجال الأطفال ليشمل أيضا مجال الآباء لاسيما أولئك الذين يتابعون برامج التلفزيون بطريقة تشبه الإدمان، والنتيجة الطبيعية لحالة التلقي من مصدر واحد هي فهم الأمور والحكم عليها بطريقة واحدة من خلال وجهة نظر واحدة، إن وجهة النظر ذات البعد الواحد غالباً بل دائماً ما تكون ناقصة ومنحازة، لذا فالموقف الذي يتشكل لدينا حيال أمر ما بتأثير من التلفزيون يحمل السمات نفسها.. أي أنه ليس دائماً صوابا[2].

وتغيير المواقف والاتجاهات، كما أوضحنا لا يقتصر على الموقف من الأفراد والقضايا، بل يشمل القيم وبعض أنماط السلوك، وكثيراً أيضاً ما تخلى الناس عن قيم كانت راسخة، واستبدلوا بها قيماً دخيلة، كانت موضع استهجان فيما سبق. إن (المتغير) الذي دخل حياتنا، وأحدث خللاً في منظومة القيم التي تحكم علاقاتنا تجاه الآخرين (أقاربنا، جيراننا.. بقية أفراد المجتمع)، وتحكم كذلك في رؤيتنا للأمور، وأحدث الخلخلة التي نراها في النظام الأخلاقي والقيمي والسلوك العام لمجتمعنا، لا ينحصر فقط في وسائل الإعلام الذي يحتل

(2) **SOUCHON, Michel et autres**, l'enfant devant la télévision, Paris : Casterman, 1981, p : 84.

التلفزيون مقدمتها، بل إنه اكتساح متعدد الأشكال والمضامين بدأ تحديدا منذ العهد الاستعماري ليستمر دون انقطاع في عصر التكنولوجيا الحالي.

كيف يؤثر ذلك في اتجاهات الأطفال ؟

يعرف الاتجاه Attitude عموما بأنه دافع مكتسب يتضح في استعداد وجداني، به درجة ما من الثبات، يحدد شعور الفرد ويلون سلوكه بالنسبة لموضوعات معينة من حيث تفضيلها، فإذا بالفرد يحبها ويميل إليها (إن كان اتجاهه نحوها إيجابيا) أو يكرهها وينفر منها (إن كان اتجاهه نحوها سلبياً). أما موضوع الاتجاه فقد يكون شخصاً معيناً (صديقاً ما أو عدواً ما) أو جماعة ما أو شعب ما، أو مدينة ما، أو مادة علمية ما، أو مذهباً إيديولوجيا ما، أو فكرة ما[3].

فالاتجاهات تعد سلوكات لأفراد المجتمع، وترتبط بالقيم والمعايير والأعراف والتقاليد السائدة فيه، وهي من الثوابت التي تستند عليها المجتمعات في بنائها، فلو تساءلنا إزاء هذه الثوابت في السلوك ومدى ارتباطها عند الإنسان في أي مجتمع، لوجدناها صلبة ومن الصعب زحزحة تكوينها، ولكن

(3) فرج عبد القادر طه : موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح، الكويت 1993.

استطاع الإعلام وبالخصوص التلفزيون بكل وسائله المتاحة أن يهز هذه الاتجاهات ويغيرها نحو موضوع معين أو قضية وطنية أو قومية أو دينية.. وقد نجحت تلك الوسائل في خلق الاهتزازات القيمية في السلوك لدى المجتمعات الثابتة نسبياً، لذلك نجد أن التلفزيون يغير الأهمية الاجتماعية والمعنى السياسي للأوصاف التقليدية وبعض الرموز الرئيسية في المجتمع، فضلاً عن قدرته على توجيه عقول الناس نحو الموضة في الملابس - مثلاً - والمنتجات التجارية ومحاولة تشتيت الانتباه نحو قضية ساخنة أخرى لغرض تقليل أهمية موضوع أو قضية تثير الرأي العام..

وقد أثبتت الدراسات أن التلفزيون قد نجح في ذلك عندما استخدم استراتيجية الإعلام الدعائي، وهو شكل من أشكال الفن الذي يصعب تحديد إطار لهويته نظراً للتطور المستمر الذي يبديه من أجل مواكبة المزاج العام، كما يخلو هذا الفن من أي إجماع على ما يمكن اعتباره سلوكاً صحيحاً أو خاطئاً أو تكتيكاً فعالاً أو غير فعال.. وعلى كل حال يمكن الحديث عن استراتيجيتين أساسيتين تهدف كلتاهما إلى اجتذاب عدد أكبر من الناس، وهاتان الاستراتيجيتان هما:

1- بث رسائل حول موضوع أو قضية معينة أو شخص ما.

2- بث رسائل سلبية عن موضوع مناقض أو شخص منافس له.

وإذا أردنا علمياً أن نعرف اتجاه هذا التأثير لابد من تحليل مضمون هذه البرامج أو المسلسلات التلفزيونية لمعرفة ما تقدمه من إرشادات وقيم وأخلاقيات يكتسبها الطفل، والواقع أنه ليس بالإمكان القيام بتحليل مضمون مجمل البرامج التلفزيونية المستوردة أو المعدة محلياً، كما أنه ليس بالإمكان لأجهزة الرقابة أن تقوم بهذا العمل الذي يتطلب وقتاً وجهداً وخبرة عالية، وعادة ما يتم الاقتصار على تحليل عينة مختارة من البرامج، إلا أن ذلك غير كاف، لذلك يجمع الإعلاميون، ورجال الاجتماع والتربية والصحة والدين، على أن التربية الأسرية السليمة للطفل هي أساس هذه الرقابة الداخلية لدى الفرد، فالرقابة الصحيحة تنبع من داخل الفرد وتربيته وقيمه، لا من خارجه، وبالنسبة للطفل تكون نابعة من التربية الأسرية السليمة التي تحصن الطفل من مخاطر هذه المسلسلات وخاصة المستوردة والتي تعمل على تشويه عقول الأطفال، وقيمهم، وأخلاقهم، وسلوكياتهم، حيث أكدت الدراسات على أن هناك نسبة عالية من الأطفال العرب الذين يفضلون البرامج الأجنبية أكثر من البرامج العربية، ومعظم هذه البرامج الأجنبية لا تلائم التقاليد العربية الإسلامية، وتبث الرعب والخوف والقلق والعنف في نفوس هؤلاء الأطفال، ومن الطبيعي أن لذلك آثاره السلبية الخطيرة على الطفل وشخصيته ونموه، كما أن ذلك يعمل على تشويه العادات والقيم

الاجتماعية التي تعمل الأسرة والمدرسة والمجتمع المحلي على غرسها في الطفل..

لقد شكلت الأسرة في الماضي القريب ملتقى حميمي يجتمع حوله الأطفال مساء كل يوم للاستمتاع بالحكايات التي يرويها الكبار خاصة الجدات، كما كانت تشكل إليهم مناسبة جيدة لطرح التساؤلات تلو الأخرى في فرصة سانحة لاكتشاف محيطهم والعالم الذي من حولهم، ولاشك أيضا أن هذه الحكايات وكل ما يحيط بها من ألغاز ومعاني كانت تهدف في العمق إلى إكساب الأطفال نسقا قيميا واضحا بالاعتماد على ثنائية الخير والشر مثلا، ومعنى المسؤولية - احترام الآخر والاعتماد على النفس... وفي عالمنا اليوم لم يعد لهذه الحكايات وجود بل عمد التلفزيون في كثير من الأحيان على تقديمها بشكل مغاير طبعا.

كثير من الآباء يتساءلون عن الدور الفعال الذي يلعبه التلفزيون على صعيد الأسرة وذلك من خلال التأثير على دورهم كآباء، وكيف يمكن للأطفال من خلال هذا الجهاز التعرف واكتشاف قيم مجتمعنا وفلسفتنا في الحياة؟ كيف يمكن تكوين الروح النقدية لدى أطفالنا لتمكينهم من صياغة الآراء الخاصة بهم؟ كثيرة هي الأسئلة التي يطرحها الآباء والمربون من هذا القبيل، الأمر الذي يدفعنا إلى محاولة تحليل

بعض المضامين التلفزيونية بهدف امتلاك صورة تقريبية عن كيفية انتقال بعض العادات والقيم عبر شاشة التلفزيون:

- **ما هو مضمون الرسالة التي يتلقاها الأطفال من خلال مشاهدتهم للبرامج التلفزيونية التي تتعرض أساسا للنمط الأفضل للحياة (le bien vivre) ؟**

إن الملابس والديكورات والبيوت والسيارات والشخصيات التلفزيونية... تشد انتباه الأطفال وتمثل بالنسبة إليهم نمط العيش المفضل الذي يطمحون إليه وبشكل لاشعوري أحيانا.

- **ما هي نوعية الرسائل التي يحملها التلفزيون للأطفال فيما يتعلق بهويتهم كأفراد ينتمون إلى عائلة ومجتمع وأمة؟**

إن التلفزيون في كثير من الأحيان لا يعبر حقيقة عن الاختلافات والتنوع المطروح على صعيد العرق واللغة والتقاليد والأعراف والعادات، بالنسبة للعديد من الأطفال فهو لا يعكس هذا التنوع الحاصل على مستوى هويتهم (حالة الأطفال الأمازيغيين مثلا).

- **ما هي المعلومات التي يتلقاها الأطفال حول نمط التغذية مثلا؟**

يقبل الأطفال بشدة على نمط التغذية الذي يقدمه الإشهار، وهذا يعني أنهم لا يختارون دائما ما يفيد صحتهم، علما أن

أغلب المنتوجات الغذائية المعروضة في التلفزيون تفتقد في الغالب إلى الفواكه والخضر الطرية والأسماك واللحوم... الأمر يتعلق إذن بمنتجات ذات قيمة غذائية ضعيفة لكنها جد مليئة بالدهون والسكريات والأملاح كالشكولا والحلويات والمشروبات... مما قد يسبب بعض المشاكل الصحية.

- **ما هي الرسائل التي يحملها التلفزيون حول الاهتمام بالمظهر الخارجي؟**

كباقي وسائط الاتصال الأخرى يقوي التلفزيون لدى الفتيات على وجه الخصوص ولاسيما المراهقات منهن الشعور بأهمية أن يكن جميلات، رشيقات، ناعمات وذلك لأجل النجاح في الحياة، وفي دراسة أجريت في ولاية كاليفورنيا على فتيات مدرسة إعدادية كشفت على أن حوالي 50٪ منهن أقبلن على تتبع حميات للمحافظة على الرشاقة وذلك من خلال البرامج التلفزيونية[4].

- **ماذا يتعلم الأطفال والمراهقون من التلفزيون بخصوص موضوعات مثل الحب والجنس؟**

كل ما يعرفه الأطفال اليوم عن موضوع الحب والجنس هو مأخوذ بالخصوص من الأفلام التلفزيونية، فالمراهقون بين

---

(4) **MEHL, Dominique** : La Télévision de l'intimité - Paris : Seuil, 1996. p : 77.

12و17سنة هم أكثر المستهلكين لأفلام الجنس pornographie وذلك حسب دراسة كندية. 37٪ من هؤلاء المراهقين يشاهدون هذه الأفلام على جهاز الفيديو مرة في الشهر على الأقل[5].

• من هم نماذج الأبطال الذين يعرضهم التلفزيون على الأطفال؟

عادة ما يختار الأطفال نماذجهم المفضلة من الشخصيات التلفزيونية وفق ما يقدمه لهم التلفزيون على الشكل التالي: رياضيون مرموقون- شخصيات بوليسية - شخصيات الرسوم المتحركة... الأشياء التي يشترك فيها هؤلاء الأبطال هي القوة والجمال والجنس الأبيض. وهكذا يمكن اعتبار التلفزيون كمدخل ثاني غير مرئي للمنزل يفتحه للزوار الذين يلجونه بغير استئذان ومن مختلف الأنواع: أساتذة، الرؤساء، البائعون، رجال الشرطة، المجرمون، فتيات الليل...

إن من طبيعة الطفل أنه يستوعب شعورياً وجدانياً ولاشعوريا كل ما يأتيه عن طريق التلفزيون الذي يعمل على شحن مشاعر الطفل بالانفعالات والوجدانات، حيث نجده يضحك، يخاف، يضرب بقدميه الأرض، ويصفق وينفعل..

---

(5) op. cit. p : 78.

وهذه المشاعر منها ما يسمو بإنسانية الطفل وأفكاره وقيمه، ومنها ما ينحدر بمشاعر الطفل إلى الحضيض، فالطفل لا يدرك الفرق بين الواقع والتمثيل، ويخلط في مبدإ السببية وهذا كله يزيد من دافعيته نحو عملية التقليد التي تحقق له المتعة والتشويق، إن نظريات التعلم الاجتماعي تؤكد على أن الطفل يقلد الكبار، ويقلد كل سلوك حتى لو كان غير صحيح، ويقلد الذكور أكثر من الإناث، أو يقلد الأبطال والمشهورين أكثر من العاديين، كما أنه يقلد كل ما يحقق له المتعة والسرور ويجعله يلعب أدوار الكبار، يقلد الحركات، والعادات، والأعمال، والكلمات، إن من طبيعة الطفل أنه يقلد الآخرين والكبار عموما، وهو يتعلم عن طريق الملاحظة والتقليد، لكونه يعتقد أن أعمال الكبار صحيحة وبإمكانه تقليدها[6]، مما يخلق له اتجاها سلوكيا معينا.

وعملية الاكتساب والتغير هاته تكون معرفية أيضا changement cognitif وهي أعم وأشمل من تغيير الموقف أو الاتجاه l'attitude، فالمعرفة في أبسط تعريف لها هي (مجموع المعلومات) التي لدى الفرد وتشمل الاعتقادات والمواقف والآراء والسلوك، المعرفة بوضعها هذا أعمق أثراً

(6) **CAPIN, Jean** L'Effet télévision : B. Grasset et Fasquelle, Paris 1980 p : 112.

في حياة الإنسان، إن التغيير في المواقف طارئ وعارض سرعان ما يزول بزوال المؤثر فيعود كما كان سابقاً، أو ربما ينحو منحى إيجابياً عكس ما كان عليه. أما التغير المعرفي فهو بعيد الجذور يمر بعملية تحول بطيئة تستغرق زمناً طويلاً.

يؤثر التلفزيون في التكوين المعرفي للأفراد، من خلال عملية التعرض الطويلة المدى له كمصدر أساسي للمعلومات فيقوم باجتثاث الأصول المعرفية القائمة لمسألة أو لمجموعة من المسائل لدى الأفراد، وإحلال أصول معرفية جديدة بدلاً منها، إن تأثير التلفزيون في طريقة تفكيرنا وأسلوب تقييمنا للأشياء من خلال ما نتلقاه منه من معلومات يؤدي إلى تحول في قناعاتنا وفي معتقداتنا، لأن القناعات هي حصيلة المعرفة التي اكتسبناها، أي إن عقيدتنا في شيء هي نتاج ما علمناه عن ذلك الشيء[7].

يستطيع التلفزيون إذن أن يحدث تغيراً معرفياً لدى الجمهور متى استطاع أن يوظف العوامل السابقة، ويوجهها في إيقاع واحد متناغم، يعجل بالتغيير المعرفي المنشود، حسب الاتجاه الذي يريده.. ضد ما هو قائم ومناقض له.. ومع ما هو قائم وداعم له.

---

(7) op. cit p : 85.

إن تأثير التلفزيون يتجاوز الحدود التي رسمناها سلفا حيث إنه في العمق يهدف إلى تغيير المجتمع في المجال السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي، فصانعة الهامبورغر مثلا لا تملك منظومة قيمية أخلاقية، صحيح أن لديها أفكاراً تكفي لصنع إمبراطورية قوية دعائمها الفكر الحر والاقتصاد القومي وترسانة أسلحة وإعلام جبار، ولكن هذا كله لا يكفي، الإمبريالية اليوم تريد أن تنتقل من استراتيجية احتواء الحكام إلى استراتيجية أعمق تقوم على احتواء الشعوب، وهذا الأمر في غاية الخطورة لَا سيما أنه يتعارض مع القيم الأخلاقية لمجتمعات هي ربما أكثر عراقة وأصالة من المجتمعات الغربية.

إن المسألة لا تعود إلى هشاشة في ثقافتنا، وقابليتها للاختراق، ولا ضعف «مناعة» نظامنا القيمي ضد الثقافات والأفكار الأخرى، إننا أمام واقع استُهدفت فيه كل المجتمعات في كل بلاد المعمور.. لكن الأمر الذي نصادفه عندنا هو ضعفنا الشديد وعدم قدرتنا نحن عن الاحتماء بثقافتنا، إنها الهرولة إلى الاستظلال بمظلة غير ملائمة لنا، ورغبتنا الأكيدة في الانسلاخ عن هويتنا وثقافتنا. وفي اعتقادنا يعود ذلك إلى عامل نفسي بالأساس يجعلنا في موقف العجز أمام الحضارات والثقافات المحيطة بنا.

وإذا وضعنا الظاهرة في إطارها الصحيح وتعرفنا على أسبابها وعواملها، فإننا ننبه إلى نقطة أساسية هي أن الحلول تستنبط من بطون المشكلات، ومن دون ذلك سنظل نلف وندور حول أنفسنا، وتتصاعد الشكوى دون جدوى. فاللجوء إلى الانغلاق على الذات كما تلوح بذلك عددا من التيارات الإسلامية لا يحل المشكلة ولا يحسمها، الأمر الذي يقتضي التفكير وإيجاد المقاربة العلمية اللازمة مع تغير المشهد الإعلامي بما ينسجم وقيمنا ومعتقداتنا والابتعاد عن قيم السلبية والاستهلاك والفردانية، وأصبح واضحاً أنه من غير الممكن ترك الإعلام بلا تخطيط أو سياسة واضحة[8]، لأن هذا يؤدي إلى عرقلة قضايا التنمية والتغيير، ويضع العقبات في طريقها، ولم يعد ممكناً النظر إلى البرامج الإعلامية على أنها خدمة عارضة يمكن أن تترك للمصادفة، بل لا بد من وضع سياسات شاملة للاتصال.

لقد شهدت المنطقة العربية ومنها المغرب تغييراً واضحا في بنائها الاجتماعي انعكس على مجموعة من القيم والتطلعات وأنماط السلوك، مما يقتضي بالضرورة أن تتشكل السياسات والممارسات الإعلامية لتلبي متطلبات التغير وتساعد على ترشيده حفاظاً على التوازن الاجتماعي المنشود.

---

(8) هذا ما نأمله في مشهدنا الإعلامي بعد إنشاء الهيئة العليا للإعلام السمعي البصري.

من هنا يجب أن ينفتح التلفزيون على المجتمع ويعبر عن طموحاته واهتماماته، ويعتمد على هذا المجتمع كمصدر أساسي لكافة برامجه بالانفتاح على مختلف المواضيع التي تهم أفراده، وبخاصة تلك التي ترتبط بواقعهم المعيشي، وقد استطاعت بالفعل بعض البرامج سواء في القناة الأولى أو الثانية تحقيق ذلك الانفتاح وإن على مستوى أقل من المطلوب.

إن الاهتمام ببناء المجتمع هو في حقيقة الأمر الاهتمام بالمواطن، بماضيه وتراثه الثقافي والفكري وبحاضره وبمستقبله، والتعامل معه إنساناً راشداً يمكن أن ينتج ويسهم في بناء المجتمع القادر على البناء والتغيير.

التلفزيون هو أداة التحديث في المجتمعات النامية، والرؤية النقدية المقابلة التي تعمل على مواجهة الإعلام الغربي الذي يعد نوعاً من الاستعمار الثقافي الذي يفرض القيم الغربية، فالتلفزيون يلعب دوراً مزدوجاً، فهو يمكن أن يكون أداة للضبط الاجتماعي وأداة للتحرر في الوقت ذاته، كما أنه يمكن أن يعبر عن الهيمنة الكونية للغرب، وفي الوقت ذاته يمكن أن يكون وسيلة لإنعاش وإحياء الثقافات المحلية.

وعلى هذا الأساس، وتأسيسا على ما سبق يمكن أن نجعل التلفزيون مواكباً للتحولات السريعة التي تعيشها مجتمعاتنا، وذلك بالاعتماد، قدر الإمكان، على ما يلي:

1- الارتباط بأهداف التنمية الشاملة وخططها بشكل عقلاني وديناميكي ؛

2- أن تستهدف سياسات الاتصال إصلاح التربية بما يتطلبه ذلك من تنمية ملكات التعلم الذاتي، والتفكير العلمي، وملكة التكيف والإبداع، وفهم المشكلات ومواجهتها، والانتقال من التلقين إلى تطوير الشخصية، ومن التربية المحدودة إلى التربية الشاملة، ومن التربية الاستهلاكية إلى التربية الإنتاجية، مما يدعم قدرة الأفراد على التحكم ؛

3- تدعيم الإحساس بالمواطنة والانتماء والرغبة في المشاركة في بناء الوطن، والإسهام في تشكيل الهوية الوطنية ومحاولة خلق وعي عام لدى الأفراد بأهمية الاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس ؛

4- الحفاظ على القيم الذاتية للثقافية الوطنية وتعزيزها والحيلولة دون الغزو الثقافي وفرض اتجاهات اجتماعية ونماذج سلوكية قد تعوق التنمية، وتستمر معها أوضاع الظلم الاجتماعي والتبعية، وإن كان هذا لا يمنع من الانفتاح على الثقافات الأخرى، والقيام بعملية تحديث مجتمعية شاملة تساهم فيها كل المكونات الحية للمجتمع ؛

5- بناء نموذج اتصالي يقوم على المشاركة لا على فرض الاعتقادات، بتجنب الاعتماد على النموذج العمودي في

الاتصال، وتوفير الفرص للمشاركة الشعبية في الاتصال وتحقيق ديمقراطيته، وبهذا يتخلص النظام الاتصالي من صفة الاتجاه الواحد ويحقق فكرة الاتصال كحق أساسي، وينظر للأفراد كمشاركين لا كمتلقين أو مستهلكين فحسب ؛

6- الالتزام بمفهوم واضح للحرية، يحترم هوية كل شعب والمعايير المتعارف عليها في مجال حقوق الإنسان وحرية التعبير مع مراعاة الخصوصيات.

إن التلفزيون إذن هو مؤسسة اجتماعية وثقافية، قبل أن يكون منتجاً وموزعاً للإعلام، فهو يقيم الاتصال بأفراد المجتمع ويعيد (إنتاج الثقافة) أو يقوم بتوزيع سلع ثقافية عبر إقامة علاقات اجتماعية مع المتلقي، وذلك من خلال تعزيز الذاتية الثقافية وتدعيم الثقافات الوطنية دون إغلاق الأبواب أمام الثقافات الأخرى، والسعي لغرس روح المبادرة والاعتماد على النفس وروح الابتكار والإبداع، والتأكيد على بعض القيم مثل روح الجماعة والتعاون والمشاركة، وإتاحة الفرصة لكل التيارات الفكرية والثقافية السائدة في المجتمع للتعبير عن ذاتها بشكل متواصل بما يخدم مصلحة البلاد، وتنظيم حوار داخلي حول موضوعات تتعلق بقضايا الشباب وتوسيع مداركهم الذهنية، وتعليمهم الطرق التحليلية والمنطقية (في علاج الظواهر) والشعور بالأمن والطمأنينة الصداقة والمساعدة المتبادلة بين المجموعات والأفراد.

سادسا

العنف التلفزيوني الموجه للأطفال إلى أين ؟

العنف التلفزيوني الموجه للأطفلال إلى أين ؟

يشكل الإعلام في عصرنا الحاضر القوة الأكثر تأثيراً في حياتنا بسبب التطور والتقدم التكنولوجي، ولكن هذه التكنولوجيا ورغم قوتها وفعلها المؤثر وقدرتها على تسهيل حياة الإنسان وشؤونه، فإنها جلبت معها الآفات والكوارث والمآسي النفسية والاجتماعية والتربوية والتغير القيمي، فالظواهر التي كانت تتميز بها الشعوب-وتمثل خاصية تتصف بها دون غيرها مع الصعوبة في الانتقال والاتصال- باتت سهلة الانتقال بفعل التحديث السريع الذي حول العالم إلى قرية صغيرة.

إن تأثير شبكات الاتصال ومكونات التكنولوجيا الحديثة أبرز قوة الإعلام كأحد نتاجات هذه التكنولوجيا، مما زاد من أهميته كما تعددت وسائله في الاتصال والتأثير إلى درجة أصبحت معها سهلة المنال لكل من يطلبها، فنقلت لنا تجارب الشعوب القديمة والحديثة كمادة حية.

لقد اشتملت تلك التجارب على كل دقائق حياة المجتمعات وتفاصيل شؤونها السلبية والإيجابية، ومنها القتل والعنف

والكراهية والسلوك العدواني، بغض النظر عن اختلاف الثقافة والأصول الحضارية وأساليب التنشئة، فبات التغير قاب قوسين أو أدنى من أن يعصف بالمجتمعات رغماً عنها، وهذا ما أطلق عليه بالعولمة الثقافية، ثم تليها العولمة السياسية والاقتصادية، وفي الأخير ربما تصل إلى العولمة الاجتماعية التي تشمل العولمة القيمية التي تمتد لتغير قيم الشعوب بمرور الزمن.

وتزداد المواد الإعلامية خطورة عندما يتعلق الأمر بالأطفال، لأنه يوجد لديهم ما يجعلهم يلتمسون في برامج التلفزيون خبرة خاصة تأخذ مكانا ما ضمن خبراتهم المكتسبة والسابقة، فيصدر عن الطفل عددا من السلوكات الملحوظة نتيجة مشاهدة بعض الأفلام والمسلسلات المشحونة بشتى أشكال العنف، كأن يقلد الطفل رجل الأدغال «طرزان» أو «هيركيل» ... في حركاته وصوته... وهذا كثيرا ما يقلق الآباء، بل إن الأمر في كثير من الأحيان يتجاوز هذا الحد عندما يقلد الطفل أو المراهق بطل فيلم ما ليرتكب جريمة بالطريقة ذاتها... والسؤال الذي يطرحه العام والخاص هو ما هي أسباب هذا السلوك العدواني وهذا العنف في أوساط أطفال صغار لم يبلغوا سن الرشد بعد؟ من هو المسؤول؟ وما هي الجذور الحقيقية لمثل هذه السلوكات والتصرفات؟

إن أصابع الاتهام تتوجه كالعادة للتلفزيون كوسيلة إعلامية يقضي الأطفال في مختلف دول العالم وقتاً طويلاً أمامه يتراوح ما بين الأربع ساعات ويصل في بعض الأحيان إلى ثمانية، وتؤكد بعض الدراسات أن الأطفال يقضون أمام شاشة التلفزيون نفس الوقت الذي يقضونه في المدرسة. وأكد تقرير نلسن سنة 1993 أن الشريحة العمرية ما بين سنتين وخمس سنوات تقضي حوالي 23ساعة في المتوسط أسبوعيا أمام الشاشة، والفئة العمرية 6-11سنة حوالي 20ساعة[1]، وتدل دراسات حديثة في أمريكا أن الأطفال ما قبل المدرسة يقضون ثلث ساعات يقظتهم في مشاهدة التلفزيون. وتؤكد هذه الدراسات وجود استجابات عنيفة لدى الأطفال ومظاهر عنف وعدوانية متزايدة إثر مشاهدتهم لمشاهد مروعة لجرائم القتل أو الشروع فيه أو جرائم الاغتصاب[2]. ولتأكيد هذا المنحى قام الباحث الكندي **وليامز** مع مجموعة من الباحثين بدراسة حاولوا من خلالها إجراء مقارنة لتطور سلوك الأطفال قبيل وبعيد دخول التلفزيون إلى إحدى المناطق الكندية وبين

(1) **د. العبد، عاطف عدلي** : التلفزيون وطفل ماقبل المدرسة، مقال منشور بمجلة خطوة - المجلس العربي للطفولة والتنمية - العدد 10، يونيو 2000، ص : 36.

(2) **FRYDMAN, Marcel**, Télévision et violence : bilan + réponse aux questions des parents et éducateurs, Editions médicales et paramédicales de Charleroi, 1993 - p : 37.

هذه العينة وعينتين أخرتين واحدة تلتقط فقط قناة واحدة والثانية تلتقط بالإضافة إلى القناة الرسمية عددا من القنوات الأمريكية(3). وتتضح أهمية وقوة هذه الدراسة من خلال ثلاثة عناصر: كونها حاولت تقييم آثار التلفزيون على مدى زمني بعيد، عدم إجرائها في مختبر وإنما على أرض الواقع، كما أن هذه المقارنة لم تعتمد عدد ساعات المشاهدة كمعيار، بل ركزت على فعل المشاهدة في حد ذاته لتخلص في النهاية إلى النتائج التالية:

- يلاحظ ارتفاع في درجة العنف المادي والمعنوي لدى عينة الأطفال الذين لم يسبق لهم مشاهدة التلفزيون من قبل، وذلك بعد سنتين من دخول التلفزيون في حياتهم ؛
- احتفظ معدل العنف على نفس المستوى لدى الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون بشكل عادي طيلة هذه المدة ؛
- يلاحظ عدم وجود أي فرق في درجة العنف بين الأطفال الذين يشاهدون قناة واحدة أو أولئك الذين يشاهدون أكثر ؛
- أطفال العينة الأولى أي الذين لم يسبق لهم مشاهدة التلفزيون أضحوا أكثر عنفا بعد سنتين من المشاهدة حتى من أولئك الأطفال الذين يتابعون التلفزيون بشكل عادي.

(3) op. cit. P. 62

توضح نتائج هذه الدراسة نوعية العلاقة القائمة بين مشاهدة التلفزيون والعنف لدى الأطفال عموما، فالعنف الدرامي المقدم على شاشة التلفزيون يثير ويجتذب الأطفال بشدة، فدراما العنف تنجح كثيرا في لفت انتباه الأطفال والكبار أيضا، وتسيطر على عقولهم وتتوغل في وجدانهم في وقت أصبحت فيه صناعة الرعب والعدوان الواجهة الأساسية لجوهر الدراما اليوم. والطفل بطبيعته يفتح عينيه وأذنيه لكل ما هو جديد ومشوق ومثير دون إدراك لخطر ما يتلقاه لأنه أشبه بقطعة الإسفنج التي تمتص كل شيء، فهو لا يملك القدرة على أن ينتقي أو يفند إلا في أضيق الحدود.

فمشاهدة الأطفال لنماذج واقعية أو متخيلة لسلوكات العنف عن أشخاص يتخذونهم قدوة من شأنه أن يعيد تشكيل سلوك هؤلاء الأطفال، ويؤثر في اتجاه إقتدائهم بهذه الأنماط من السلوك، خاصةً وأن الطفل والمراهق عادة ما تستهويه مغامرات العنف والاعتداء.

ومن ثم يتم تعلم السلوك العدواني تماماً كما يتم تعلم المهارات الاجتماعية والمعرفية من خلال مراقبة الآباء والأخوة. وأكثر من ذلك فقد أصبح واضحاً أن المدى الذي يحرض الطفل على محاكاة فاعل العنف يتأثر تأثيراً كبيراً بالتعزيز الذي يتلقاه الطفل من الفاعل، فإذا كوفئ الفاعل على

سلوكه العدواني أمام مرأى الطفل فإنه من المحتمل أن يقلد الطفل هذا السلوك، لذا فإن الأطفال الذين يشاهدون سلوكات عدوانية بحجم كبير في التلفزيون، بمقدورهم خزن هذه السلوكات ومن ثم استعادتها وتنفيذها حالما تظهر الظروف الملائمة لإظهار هذه الاستجابة السلوكية العدوانية، وإن تذكر السلوك العدواني الذي يقدم حلاً لمشكلة يواجهها الطفل قد يؤدي إلى إطلاق هذا (المكبوت) من السلوك العدواني، ويصبح المفهوم العدواني مقترناً مع النجاح في حل مشكلة اجتماعية[4].

إن معظم المشاكل التي تواجه الآباء مع التلفزيون لا تتصل مباشرة بالتلفزيون ذاته، بل بالسيطرة عليه . هذا في الوقت الذي يكون الأب منشغلاً عن أبنائه في معظم اليوم خارج الأسرة، وقلة حضوره وتواجده أدى إلى أن يصبح (التلفزيون) الأب البديل للطفل بما يقدمه من مادة إعلامية، فكانت اللغة السائدة للتفاهم هي لغة العنف بواسطة أفلام أو عبر المسلسلات الاجتماعية الداعية إلى أن يكون البطل أكثر قسوة في القتل وتصفية أعدائه، أو إظهار التهريب والمتاجرة بالمخدرات والممنوعات بمظهر السلوك الاجتماعي الطبيعي.

(4) د. رشتي جيهان، مرجع مذكور، ص. 73.

لكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن بهذا الصدد هو أين هي الحقيقة في هذا الاتهام، وهل هناك علاقة ارتباطية على الدوام بين المادة الإعلامية التي تحمل في طياتها مظاهر وسلوك العنف وممارسة العنف في الواقع؟ أم هناك أسباب أخرى يجب أخذها بعين الاعتبار لتفسير السلوك العدواني وغير السوي لدى الأطفال؟

الموضوع ليس بهذه البساطة، وإنما يتطلب البحث في جذور المشكلة وفي الأسباب المختلفة التي تؤدي إلى السلوك العدواني. فتأثير التلفزيون - برأي البعض - لا يكون سلبيا بشكل مطلق إلا بوجود استعداد نفسي لدى الطفل أو بوجود ظروف بيئية مشجعة على السلوك العنيف، حيث يؤكد **دافيد أبراهام** في كتابه «**سيكولوجية الجريمة**» على اختلاف الآراء حول دور التلفزيون في حدوث العنف والجريمة، ويذهب إلى القول بأننا في حاجة إلى مزيد من الدراسات لتحديد مدى تأثير هذه العوامل على شخصية الطفل السوي، بل على العكس ربما يزود التلفزيون هؤلاء الأسوياء بمنفذ أو مخرج لتصريف مشاعرهم المكبوتة[5]...

---

(5) **د. عيسوي، عبد الرحمان** : سيكولوجية الجنوح، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 1984، ص. 123/122.

وعليه يجب أن نسلط الأضواء على بعض النظريات التي حاولت أن تشرح وتفسر العلاقة بين الوسيلة الإعلامية وسلوك الفرد، وكذلك نظريات العنف التي حاولت أن تحدد التأثيرات المختلفة للرسالة الإعلامية على سلوك وتصرفات الأفراد. وما هي المستلزمات والشروط التي يجب أن تتوفر حتى يكون هناك رد فعل واستجابة لمثير. تعود بنا أدبيات نظريات الإعلام[6] للبدايات الأولى لعلم الاتصال الجماهيري إلى نظرية الرصاصة أو نظرية الإبرة تحت الجلد، التي كانت تؤمن إيمانا راسخاً أن هناك علاقة ارتباطية قوية بين الرسالة الإعلامية وسلوك الفرد. فنظرية الرصاصة تؤمن بالجمهور السلبي وبأن سلوك الإنسان ما هو إلا استجابة لمثيرات خارجية، وقد تكون هذه المَثيرات هنا الرسالة التي تقدمها الوسيلة الإعلامية. في الحقيقة لم تعمر هذه النظرية طويلاً نظراً للمسلمات الخاطئة التي انطلقت منها، وجاء الواقع ليبرهن على أن ليس كل ما يقدم من خلال وسائل الإعلام وخاصة التلفزيون يعتمده الشخص المستقبل، وهكذا لم تستطع نظرية الرصاصة أن توضح وتحدد علميا علاقة الوسيلة الإعلامية بسلوك الفرد.

(6) يراجع في هذا الشأن : **JOST, François** Introduction à l'analyse de la télévision - Paris : Ellipses-Marketing, 1999

فبالنسبة لعلماء الاتصال الجماهيري وعلماء النفس والاجتماع يعتبرون أن دراسة سلوك الإنسان ليست بسيطة، وإنما يخضع تصرف الفرد لعدة معطيات وعدة عوامل، ولا يمكن إرجاعه إلى عامل واحد كأفلام العنف التي تقدم على شاشة التلفزيون، أضف إلى ذلك أن الفرد يخضع لعوامل اجتماعية وتربوية وعائلية ودينية واقتصادية ونفسية وغيرها تتحكم وتؤثر في سلوكه بطريقة أو بأخرى، فإننا إذن لا نستطيع بأي حال من الأحوال أن نوجه أصابع الاتهام للتلفزيون، ولو أنه قد يلعب دورا لا يستهان به في بعض الحوادث بل قد يكون بمثابة المحفز لسلوك العنف «الكامن».

يؤكد علماء الاجتماع وغيرهم في العديد من البلدان على الظروف الصعبة التي يعيش فيها أطفال العالم اليوم، ومن أشكال سوء المعاملة وانعدام الاهتمام والحب والعطف والحنان، وكذلك المعاناة من تمزق العائلة وسيطرة النزعة الفردية والأنانية والفراغ الروحي، بحيث إن الأطفال في كثير من الأحيان يفسرون ما يشاهدونه على ضوء مشكلاتهم في الأسرة أو المدرسة أو الشارع ووفقا لظروفهم المتباينة وتبعا لمستوياتهم الاجتماعية، وهكذا فمشاهد العنف تقوي الاستعدادات العنيفة لدى الطفل غير المتكيف مع محيطه الاجتماعي، وذلك بإعطائه فكرة مفادها أنه يستحيل حل المشكلات التي يواجهها إلا عن طريق العنف. فواحد من

خمسة أطفال في أمريكا مثلا يعيش في الفقر وواحد من أربعة يولد بطريقة غير شرعية. فمثل هذه العوامل تترك أثاراً جد سلبية على الأطفال، خاصة إذا غذتها عوامل أخرى كالإقبال على الكحول والمخدرات والجنس وغيرها، وكذلك إذا صاحبتها مواد إعلامية تستخدم العنف والجريمة، في هذه الحالة تتشابك العوامل وتجعل من الطفل أو الشاب التائه الضائع منحرفاً ومجرما وشريراً يشكل خطراً على المجتمع.

وحسب الإحصائيات الرسمية فنصف المجتمع الأمريكي يملك سلاح معين سواء كان مسدساً أو بندقية أو رشاشاً الخ، ومعظم الأحيان تترك هذه الأسلحة في أماكن يصل إليها الأطفال بسهولة كبيرة. فالأمر إذن أهم وأخطر من أن يكون السبب في حادثة ما هو التلفزيون، لكن الأسباب هنا معقدة ومتشابكة ولا يمكننا أن نرجعها إلى سبب واحد.

نظريات الاتصال التي درست ظاهرة العنف كما تعرض في وسائل الإعلام المختلفة وكسلوك يسلكه بعض الأفراد أكدت أن نسبة كبيرة جداً ـ حوالي 80٪ ـ من المواد التي يبثها التلفزيون الأمريكي هي مواد تحتوي على مشاهد العنف[7]،

(7) **FRYDMAN, Marcel,** Télévision et violence : bilan + réponses aux questions des parents et éducateurs : Editions médicales et paramédicales de Charleroi, 1993. - p : 98.

وهذا يعني أن هناك مشكل في المادة الإعلامية التي تقدم للفرد الأمريكي، وهناك نوع من التأثير أو من العلاقة بين ما تقدمه وسائل الإعلام وسلوك أفراد المجتمع الأمريكي، فإذا كانت هذه النسبة العالية يتم عرضها باستمرار وبانتظام فهذا يعني أن مظاهر العنف أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياة الفرد وقيمه ومعتقداته ومرجعيته.

وفي فرنسا شهدت المدارس سنة 2000 أكثر من 1000 حادث عنيف، وحسب الخبير والأستاذ في علم التربية **جاك باين** فإن (العنف ضد المؤسسات التربوية يبرز فقدان الثقة في المؤسسات وفي الكبار وفي المجتمع ككل)[8]، فانعدام الثقة في المستقبل وانتشار البطالة والفوارق الاجتماعية وتباين الطبقات، هذه العوامل كلها تؤدي إلى إحباط نفسي خطير من شأنه أن يولد الحقد والكراهية ضد النظام وكل مقومات المجتمع وعناصره ومكوناته، وإذا كان الطفل الصغير معرضاً لسيل جارف من المواد التلفزيونية التي تحمل في طياتها العنف والتصرفات العدوانية، وحيث يترك لحاله في مشاهدة التلفزيون والتعرض لألعاب الفيديو، ففي هذه الحالة تتقوى

---

(8) **Blandine Kriegel**. La violence à la télévision. Ed. P.U.F. Paris 2003. P. 51.

إمكانية السلوك العنيف، وبالتالي تنسحب نظرية إثارة الحوافز العدوانية، حيث إن المثابرة على مشاهدة العنف من خلال المواد التي يقدمها التلفزيون تؤدي إلى ارتفاع حدة الإثارة النفسية والعاطفية عند المتلقي، وهذا ما يؤدي إلى حدوث السلوك العدواني(9).

وتتضافر عوامل عدة منها الإحباط والشعور بالتهميش وسوء المعاملة وانعدام الحنان والعطف العائلي والفراغ الروحي، كل هذه العوامل مشتركة إضافة إلى التعرض للتلفزيون ولمواد العنف تؤدي في النهاية إلى تقليد ما شاهده الطفل من دراما تلفزيونية على أرض الواقع. وهنا نلاحظ كذلك انسحاب نظرية التعلم من خلال الملاحظة والتي تؤكد على أن الأفراد يتبنون ويتعلمون السلوك العدواني من خلال تعرضهم للتلفزيون، ويعملون على تقليد وتنميط تصرفاتهم حسب سلوكات بطل أو أبطال الفيلم، والاستمرار في المشاهدة وتعاطي أفلام العنف تؤدي إلى الهروب من الواقع والانغماس في الخيال وخاصة مناخ العنف والجريمة والسلوك العدواني، ويعود الفرد بالتالي أقرب إلى العالم المتخيل وأبعد عن الواقع

(9) **Eric Chevallier, Michèle Bannay, Sylvie Mansour, Isabelle Reste...** La relation enfant-télévision : implications physiques, psychologiques, éducatives et sociales ; Ed. du Centre International de l'enfance, Paris 1991. p : 127.

والعالم الحقيقي الذي يعيش فيه. ويلجأ الأشخاص إلى تقمص شخصيات الأفلام ولا يفرقون بين الدراما والخيال والواقع ويبررون فشلهم بالهروب من الواقع والانتقام من المجتمع بكل مكوناته المادية والبشرية، وممارسة العنف هنا ينظر لها على أساس أنها أسلوب حياة ناجح لمواجهة التهميش والفشل والمشاكل الاجتماعية والنفسية.

كما يرى فريق من الباحثين في الاتصال الجماهيري وفي علم النفس أن المادة الإعلامية التي تحمل في طياتها العنف والسلوك العدواني تعزز وتدعم أنماط السلوك الموجودة أصلا عند المتلقي، وترى نظرية التعزيز هذه أن التعرض للعنف في التلفزيون يؤكد صحة الدوافع العدوانية الموجودة لدى الشخص[10]، وهنا يجد المتلقي الراحة النفسية لما يجد التطابق في الاعتقادات والقيم والتصرفات الموجودة عنده والمتشبع بها، وتلك التي تعرضها وسائل الإعلام مصبوغة بطبيعة الحال بالخيال والدراما وغير ذلك. وهنا يجد المشاهد ضالته ويعزز قناعاته وميوله ورغباته، حيث يتبادر له أنه على صواب وباقي المجتمع على خطأ. فالعنف الموجود في الواقع يكشف عن تناقضات عدة يعيشها مجتمع نالت منه قيم الفردانية والاستهلاك وحب النفس والتشردم العائلي...

---

(10)**JOST, François,** op. cit. p : 65.

إن اللوم الذي يمكن توجيهه إلى المسؤولين على البرامج التلفزيونية وعلى الصناعة الثقافية بصفة عامة هو التخلص من روح التجارة والاهتمام أكثر فأكثر بالمجتمع وقيمه، فبالنسبة لتجار الدراما التلفزيونية يحاولون اللعب على أوتار المراهقة والعواطف عند الشباب وهذا من خلال الإثارة والعنف والجريمة والجنس للوصول إلى أكبر شريحة في المجتمع، وهكذا أصبحت علامة النجاح في الإبداع الفني والإنتاج الثقافي مرتبطة ارتباطا عضويا ووثيقا بالعنف ومشتقاته. السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو على حساب من؟ ولصالح من؟ (إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا). ومع الأسف الشديد أصبحت الأخلاق في أيامنا هذه من المصنفات التاريخية والأرشيف. لقد بتنا نشاهد في الفترات الأخيرة مظاهر مقلقة حقا تلك المتمثلة في عدد من أشكال العنف داخل المؤسسات التربوية وخاصة تجاه المدرسين والمربيين، وإذ كنا لا نتوفر على إحصائيات في المغرب بخصوص هذه الظاهرة الحرجة، فالأكيد أنها في تزايد مستمر لدرجة أصبح من اللازم العمل على حصرها وتفسير أسبابها.

صور الحرب في التلفزيون: عنف ودموية

تعتبر الحرب بكل ما تحمله من معاني القهر والدمار والسخط شكلا من أشكال الانحطاط الإنساني مهما كانت

نتائجها بالنسبة للأطراف المتحاربة، إن المصالح الذاتية والحسابات الضيقة للجماعات الضاغطة والمالكة للقرار السياسي والطموحات المرضية لبعض الساسة والزعماء تتغلب على كل الجهود الإنسانية الرامية لحفظ حق الحياة والحفاظ على الكرامة الإنسانية، فتعمد بذلك آلة الحرب على الفتك بجماعات من البشر لا ذنب لهم إلا أنهم يشكلون حاجزا ما أو يقفون سدا منيعا أمام الطموحات اللامشروعة لبعض أسياد العالم المتحضر!

تشكل الحرب إذن بجميع أشكالها تبادل استراتيجي وتكتيكي للعنف، وهي لا تعدو أن تكون إلا وجها من وجوه المواجهة عندما يغيب الحوار وتنغلق جسور التواصل والتفاهم وتصم الآذان وتغمض العيون، والدعاية الحربية في جوهرها عملية إقناع منظمة ينهجها الساسة ويوظفون لها كل ما يتوفرون عليه من إمكانيات إعلامية، وبذلك يصبح الإعلام إحدى أجهزة الحرب وآلياتها، فبينما تهاجم الحرب الجسد، فإن الإعلام ينقض على العقل، وفي زمن الحرب تهاجم الدعاية الإعلامية النفسية جزءاً من الجسد، لا تستطيع الأسلحة الأخرى أن تصل إليه، في محاولة للتأثير في طريقة أداء الأطراف المشاركة في ميدان القتال، حتى أن الدعاية للحرب قديمة قدم الحرب ذاتها، وهي أسلحة أثبتت أنها لا تقل أهمية عن أي من الأسلحة التي ابتكرها

الإنسان حتى الآن، وفي هذا الصدد يقول ألبير كامي: «على اتساع خمس قارات خلال السنوات المقبلة سوف ينشب صراع لا نهاية له بين العنف وبين الإقناع الودي... ومن هنا سيكون السبيل المشرف الوحيد هو رهن كل شيء في مغامرة حاسمة مؤداها أن الكلمات أقوى من الطلقات»[11]. وتحققت في إعلام الحرب السيادة على الأعداء، ولكن بقيت آلة الحرب بكل إمكاناتها تعمل خفية، ولكنها توجهت للدماغ، فكان من نتائجها الحرب على الدماغ، وتسييره نحو حرب جديدة، وهي سياسة الدول المنتصرة في الحرب، وتسخير كل الشعوب لها، ولو بوسائل تختلف كلياً عما كان يمارس زمن الحرب، ولكن تبقى أداة الحرب المتمثلة في العنف الفردي والسلوك العدواني هي النتيجة المحققة في زمن السلم، بحيث أصبحت الكلمات أقوى من الطلقات لا سيما أن أدوات الدعاية والإعلام أخذت مفعولها في التأثير بشكل لا مثيل له، ولا يمكن إيقافه كحرب مستمرة، وهي امتداد طبيعي للحرب.

إن ما يخلفه الإعلام التلفزيوني من نتائج ودعاية لا يمكن وصفها تفصيلياً وبموضوعية محايدة بحيث تظهر الحرب وكأنها قمة الحضارة وبناء الإنسان الجديد وضمان لمستقبل

---

(11) فيليب تايلور : قصف العقول، ترجمة سامي خشبة، عالم المعرفة، الكويت، أبريل 2000، ص: 35.

الأجيال وتحقيق السيادة، فكأن في القتل حياة، وفي تدمير الشعوب بناءاً للحضارة، وتطويراً للإنسانية المواكبة للعصر، واستبدال السلام بالعنف والسلوك العدواني هو الضمان للمستقبل...

فنتائج الإعلام بعد انقشاع الرؤية الضبابية تتجسد في الواقع المدمر بشتى صوره المتمثلة في الأجساد الإنسانية والآلات على اختلافها وتنوعها، والأعضاء المبتورة والهياكل العظمية المتهاوية لبقايا باقية مستغيثة ومنسية، وبقايا هياكل الحيوانات وصور الموائد والأثاث والجدران وهي تنهار أجزاء وقطعاً مع وقع ذكريات الحرب الفظيعة والجوع والخوف وصور القتل، فهي مواضيع تمثل الموت وتحفل بصور أجساد الإنسان المبتورة والهياكل والجماجم والطبيعة الحزينة على الجرائم. وهذه الصور المنقولة في التلفزيون وتأثيراتها على الإنسان إنما تجعله يقبل بها بمرور الزمن، لا سيما أن التأثيرات الموجهة نحوه منظمة، وليست عشوائية، وإنه هو المستهدف أولاً في الحرب ونتائجها، لذا فإن توجيهه نحو هدف ما يتم عن بعد ومن خلال المادة الإعلامية المبثوثة، وقد تم تخطيط ذلك من خلال:

- عامل الملاءمة وانتقالية الجمهور الذاتية، يجعل من المحتمل أن تنجح الحملات الإعلامية أعظم نجاح في تقرير الميول الحالية ؛

- يحتمل أن تكون الحملة التثقيفية أكثر نجاحاً من الحملة التي تهدف إلى تغيير المواقف ؛

- المتلقي ليس لديه مصادر منافسة للمعلومات ولا مصلحة شخصية في مقاومة أو عدم تصديق المعلومات ؛

- يغلب أن تكون الحملة التي تسمح بدرجة من الاستجابة الفورية في العمل فعالة لأن السلوك عموماً يؤكد النية في التصديق ؛

- يمكن أن يكون التكرار كأحد الروافد المحتملة للتأثير[12].

إن هذه العوامل جميعها مهمة في عملية التأثير المتعدد الجوانب على الفرد المتلقي وستكون فعالة بالتأكيد، وإن التلفزيون يكون قد حقق نتائجه المرجوة، وعلى الفرد أن يخضع لسلطانه حتماً!

إن العنف المأخوذ عن واقع الحرب، والمنقول من جبهات القتال لسنوات أو أشهر، يشكل بحد ذاته سلوكاً يطغى على تصرفات الشخص المشارك في الحرب أو العنف، بالإضافة إلى الإعلام والدعاية المصاحبة لهما، و إظهار صورة النصر

(12) دوريس وجريبر : سلطة وسائل الإعلام في السياسة، ترجمة أسعد أبو لبدة، دار البشير، عمان، 1999. ص : 63.

البراقة كإيقاع حتمي في النتيجة، مما يضفي على سلوك أفراد المجتمع هذه المسحة الملفوفة بالعنف، رغم أن التلفزيون والسينما والصحافة التي ما زالت تذكر الناس بالانتصارات المتحققة في الحرب والمباهاة الزائدة بحق الشعوب، وتمنحها دفعات قوية من الانفعالات، كذلك محاولة مزج صورة العنف الدموي وصور القتل كبديهية لا بد من قبولها واقعاً متحققاً، فينشأ لدى معظم الناس الاستعداد النفسي مع التهيؤ الملائم لقبول العنف والسلوك العدواني كحقيقة واقعية وسلوك طبيعي، ويمكن تفسير مشاهد العنف والسلوك العدواني من خلال:

1- التعلم الذي من خلاله ترتسم السلوكات العدوانية وتوصف في التلفزيون ويتم تعلمها من قبل المشاهد ؛

2- التفريغ الانفعالي الذي من خلاله يجنح المشاهد إلى الانسياق وراء دوافع السلوكات العدوانية، ويؤدي ذلك إلى تناقص هذا الدافع نتيجة مشاهدة الفاعلين وهم يتصرفون تصرفاً عدوانياً ؛

3- حدوث تغيرات في الإثارة الفيزيولوجية أو العاطفية وفي الاستجابة، والتي تتجسد بمشاهدة العنف على شاشة التلفزيون ؛

4- تغيرات الموقف التي يترتب عليها التعرض إلى مشاهد العنف و ظهور خاصية العدوان وتأثيراتها على السلوك ؛

5- عمليات التبرير الصادرة عن الأطفال العدوانيين الذين يراقبون ويشاهدون أفلام العنف لأنها تزودهم بالإمكانيات الكفيلة بتبرير سلوكهم العدواني على أساس أنه سلوكا عاديا.

سابعا
نتائج الاستطلاع حول آثار التلفزيون في سلوك الطفل المغربي

نتائج الاستطلاع حول آثار التلفزيون في سلوك الطفل المغربي

أهمية هذا الاستطلاع

يهدف هذا الاستطلاع كما أوضحنا في تقديم هذه الدراسة إلى استكمال الجوانب النظرية بمعطيات ميدانية تشمل عددا من الأسر المبحوثة، بغية التعرف على واقع بعض المسلكيات السائدة في التعامل مع وسائل الإعلام وخاصة التلفزيون، لما يملكه هذا الأخير من حيز مهيمن على القلوب والعقول داخل فضاء الأسرة عموما، لهذا فتوجيه الاستبيان إلى الآباء تحديدا كان من أجل إضفاء طابع من المعرفة الواقعية والدقيقة عن مشكلة يعاني منها المجتمع والأفراد، ولمعرفة آراء الآباء حول واقع مشاهدة أبنائهم للتلفزيون وما قد يترتب عن ذلك برأيهم وما يرونه حقيقة من عادات أطفالهم. لقد عملنا إذن من خلال هذا الاستطلاع على التوجه إلى عينة من الأسر نتوخى أن تعطينا فكرة عن المجتمع برمته.

العينة التي شملها الاستطلاع:

تعتبر عملية تحديد العينة من أصعب المهام التي تعترض الباحث وذلك بالنظر إلى الشروط الموضوعية التي يجب توفرها في أي عينة تتوخى تمثيل المجتمع الأصلي، وعليه فإن أي خطأ في تقدير العينة يعرض نتائج البحث الميداني بأكملها إلى الخطأ، مما يفرض ضرورة الالتزام بالضوابط المحددة علميا لاختيار العينة المطلوبة، ويتوقف حجم العينة المختارة برأي عدد من الباحثين في المناهج الاجتماعية على ثلاثة عوامل:

- درجة تجانس المجتمع الأصلي : بحيث إنه كلما كان مجتمع الظاهرة المبحوثة متجانسا كلما كان من الممكن تصغير حجم العينة ؛
- الاعتبارات المادية: نظرا للتكاليف المادية التي يتطلبها اعتماد عينة كبيرة الحجم، فإن الباحثين يلجأون إلى أسلوب العينة الصغيرة للتقليل من النفقات ؛
- عامل الزمن: تتطلب العينة ذات الحجم الكبير وقتا أكثر حتى يتم الاتصال بكل مكوناتها.

ويقسم الباحثون العينة إلى عدة أنواع: فهناك العينة العشوائية والعينة العنقودية والعينة النسقية والعينة التراتبية والعينة القصدية أو العمدية، ويتلاءم كل نوع من هذه العينات مع طبيعة الظواهر المبحوثة. وتنبغي الإشارة إلى أنه كيفما كانت دقة الاختيار فإن العينة لن تستطيع تمثيل المجتمع الأصلي ولكن تعطينا فقط صورة أولية عنه.

لقد وقع اختيارنا إذن على العينة العشوائية في محاولة لتمثيل المجتمع المغربي يتراوح سن الأطفال بين 4سنوات و12سنة، شملت 300 أسرة تمثل عددا من المدن المغربية، اعتبارا لكون الطلبة الذين قاموا بإنجاز الاستطلاع في مرحلته الأولى (توزيع الاستبيان وملئه) ينتمون إلى عدد من جهات المملكة (الرباط، البيضاء، فاس، تازة، القنيطرة، بني ملال...). وللإشارة فهؤلاء الطلبة ينتمون إلى كلية علوم التربية بالرباط قصد تحضير دبلوم الدراسات العليا المتخصصة بوحدة إعادة تربية الجانحين (الفوج الثاني: 2000-2002) تحت إشراف الأستاذ محمد الدريج.

أسئلة الاستطلاع

لقد تم اعتماد أسئلة الاستطلاع التي سبق أن وضعها المجلس العربي للطفولة والتنمية مع بعض التعديلات، والتي نشرت بمجلة المجلس «خطوة» عدد10 / يونيو 2000 حول مشاهدة الأطفال الصغار للتلفزيون.

يضم القسم الأول المعلومات العامة والشخصية المتعلقة بالمبحوث: السن، الجنس، المستوى الدراسي، علاقة المجيب بالطفل. أما القسم الثاني فيضم الأسئلة المتعلقة بصلب الموضوع ويمكن توزيعها على الشكل التالي:

- أسئلة تتعلق بمشاهدة الطفل للتلفزيون (أوقاتها، ظروفها، نوعية البرامج المشاهدة...) ؛
- أسئلة تتعلق بدور الآباء في الملاحظة والمناقشة والمشاركة والتوجيه ؛
- أسئلة تتعلق بتأثيرات التلفزيون المختلفة على سلوك الأطفال.

نتائج الاستطلاع

الجدول 1: سن الأطفال وجنسهم

الجنس / السن		من 4 إلى 6 سنوات	من 7 إلى 9 سنوات	من 10 إلى 12 سنوات	المجموع	
					ت	%
ذكور		55	60	20	135	45
إناث		39	78	48	165	55
المجموع	ت	94	68	68	300	100
	%	31.3	46	22.7		

إن الشريحة العمرية التي شملها الاستطلاع والتي تمتد من 4 سنوات إلى 12 سنة تجاوزت فيها نسبة الإناث نسبة الذكور ب 10٪ حيث بلغت 55٪، وتشكل الفئة العمرية 7- 9 سنوات غالبية الأطفال بنسبة 46٪ تليها الفئة العمرية4-6 سنوات ب 3, 31٪ وتأتي في الأخير الفئة العمرية 10-12 سنة ب 7, 22٪، وتدل هذه المعطيات على أن الاستطلاع شمل بدرجة أكثر الأطفال الأقل من 10 سنوات بنسبة 77٪، وهكذا فإن هذه العينة في مجموعها ملتحقة بالنظام التعليمي سواء في إطار التربية ما قبل المدرسية (روض) أو في إطار التعليم النظامي (مدرسة).

إذن فالاستطلاع كان موجها بالأساس لعينة الأطفال المتمدرسين بما يفيد ذلك أننا أمام وضع خاص نريد من خلاله معرفة مدى حضور التلفزيون كمواد وبرامج لدى هؤلاء الأطفال المتمدرسين، وبالتالي كيف يؤثر عليهم وكيف تتأثر حياتهم الدراسية تبعا لذلك؟

الجدول 2: معدل مشاهدة الطفل للتلفزيون في اليوم حسب الجنس

الجنس / المدة		أقل من ساعة	مابين ساعة وساعتين	مابين ساعتين و3 ساعات	أكثر من 3 ساعات	المجموع
ذكور		5	27	77	26	135
إناث		17	20	65	63	165
المجموع	ت	22	47	142	89	300
	%	7.3	15.7	47.3	29.7	100

من خلال إطلالة سريعة على نتائج الجدول 2 يتبين بالملموس ارتفاع معدل مشاهدة الأطفال للتلفزيون عموما لتصل إلى أكثر من 3 ساعات في اليوم بنسبة 7, 29٪، وعبر قرابة نصف العينة المبحوثة 3, 47٪ من الأباء على أن أطفالهم يشاهدون التلفزيون يوميا ما بين ساعتين وثلاث ساعات، وتبقى هذه النسب جد مرتفعة خاصة لدى الإناث حيث نسجل نسبة1 , 38٪ منهن يتابعن البرامج التلفزيونية لأكثر من 3 ساعات يوميا مقابل 2, 19٪ لدى فئة الذكور لنفس المدة . وإذا اعتبرنا أن المتوسط اليومي للمشاهدة 3 ساعات يوميا بالنظر إلى النتائج المحصل عليها فإن معدل عدد ساعات مشاهدة التلفزيون أسبوعيا يصل إلى 21 ساعة وشهريا يبلغ 90 ساعة وبذلك يعادل 4/3 عدد ساعات الحصص الدراسية حسب النظام المعمول به حاليا في سنوات التعليم الأساسي، الأمر الذي يوضح بجلاء مدى الحضور المكثف للمواد التلفزيونية على اختلافها لدى الطفل، وما تشكله من خطر إذا لم يتم مراقبتها وتقنينها.

لقد ساهم التلفزيون إذن في ازدياد أعباء الأسرة فبعدما كان الهدف من اقتناء هذا الجهاز لدى أغلب الأسر هو الحصول على الترفيه وملء أوقات الفراغ وزيادة المتعة والحصول على الفرجة ... أصبح من اللازم أكثر من أي وقت مضى تقنين أوقات المشاهدة وتحديدها وعدم ترك الحبل

على الغارب، فالتلفزيون بهذا الشكل لم يعد أمينا وربما لم يكن من قبل كذلك.

ومما يثير الانتباه أيضا أن أوقات المشاهدة غير محددة في الغالب الأعم، فهي قد تكون صباحا أو مساءا أو بعد الظهر وأحيانا ما قبل النوم، حيث دلت النتائج المحصل عليها في هذا الباب على وجود تنوع شديد لأوقات مشاهدة التلفزيون، فقد عبرت نسبة 75,2٪ من للآباء على أن أطفالهم يشاهدون التلفزيون في فترات الصباح وفي المساء وقبل النوم أحيانا، وتزداد هذه الفترات خلال أيام العطل ليصبح التلفزيون أنيس الطفل طيلة اليوم خاصة مع الانتشار المذهل للقنوات الفضائية وارتفاع أعداد القنوات المختصة في برامج الأطفال.

وبالرغم من وجود عدد لا بأس به من القنوات العربية يلاحظ سيطرة الإنتاج الأجنبي والقنوات الأجنبية الموجهة الأطفال، مما يعني أن الطفل العربي ومنه المغربي يجد نفسه أمام حالة من الاغتراب أو بتعبير د. مصطفى حجازي تنميط ثقافي[1] يجد نموذجه فيما تقدمه الدول المتقدمة وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية التي غزت العالم بإنتاجها

(1) يراجع في الشأن مؤلفه المماعي «ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة» منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، الطبعة الأولى : 1990.

التلفزيوني في كافة المجالات، الأمر الذي يجعل من طفل الرباط أو القاهرة أو عمان يعيش في واقع أمريكي محض لا يشبه بتاتا الواقع الذي من حوله، وتتغلغل بذلك الإيديولوجية الأمريكية في أوساط هؤلاء الأطفال والمراهقين والشباب لتجعل منهم أفرادا ناقمين على أوضاع مجتمعاتهم التي لا تيسر لهم الإمكانيات والوسائل المادية على غرار ما تقدمه الدول المتقدمة من نماذج على الشاشة الصغيرة، ويزيد من حدة هذا الوضع أن أغلب المواد التلفزيونية المبثوثة في القنوات العربية مستوردة سواء كانت في شكل مسلسلات للصغار أو الكبار، بل إن أغلب البرامج العربية إنتاجا مستنسخة عن أخرى غربية بنفس المواصفات والأساليب وحتى أشكال التقديم أحيانا، إنه استيراد واستنساخ كامل يوضح بكيفية حاسمة الضعف الكبير الذي تعاني منه الصناعة الإعلامية العربية على كافة المستويات ماديا وبشريا، إنتاجا وتخطيطا وتنسيقا ...

وتعزز بشكل أوضح هذه الحقيقة ما حصلنا عليه من بيانات من العينة المبحوثة، إذ عبر غالبية الآباء أن أطفالهم يشاهدون القنوات الأجنبية أكثر من القنوات المحلية بنسبة 91,6٪. وبالتالي إذا كانت شخصية الطفل في طور تكوينها فإنها تتشبع أكثر بالإنتاج الأجنبي، مما يجعلها تعيش حالة

فريدة من الاغتراب في وطنها، الأمر الذي يفسر في اعتقادنا هذا النزوع الدائم لدى الشباب اليوم إلى الرحيل إلى أوربا القريبة منا، وهذه الرغبة لا تجسدها فقط الفئات العاطلة بل نجدها حتى لدى النشيطين وفي أوضاع مستقرة (موظفون، مستخدمون..)، ذلك أن نمط تكوينهم النفسي والاجتماعي أصبح يتماشى أكثر مع النمط الغربي، وبالتالي فإنهم يعيشون حاضرهم بنمط غيرهم، ويتعاطون مع الأشياء بنظرة غيرهم، ويفسرون مشكلاتهم على ضوء ما قدمه لهم التلفزيون منذ الصغر وما تشربوه منه.

الجدول 3: مع من يشاهد الطفل التلفزيون أغلب الأوقات؟

الرفقة	التكرار	النسبة
بمفرده	96	32
مع أخوته فقط	56	18.6
مع الأسرة بكاملها	131	43.7
أطراف أخرى	17	5.7
المجموع	300	100

تدل النتائج أعلاه على أن أغلب المستجوبين أوضحوا أن أطفالهم يتابعون البرامج التلفزيونية في حضور الأسرة بكاملها 7, 43 ٪ أو مع الأخوة 6, 18٪، في حين لم تتجاوز نسبة

الأطفال الذين يختلوا بأنفسهم 32٪ ، أي ثلث العينة تقريبا ومع ذلك تبقى نسبة مهمة.

إن سلبيات مشاهدة الطفل للتلفزيون بمفرده في غياب أي توجيه أو رقابة من قبل الآباء تجعله يرى ما يناسبه وما لا يناسبه، ما هو إيجابي وما هو سلبي...، وقد دلت بعض الدراسات على أن بقاء الطفل لوحده أمام جهاز التلفزيون يشل حركته ويقلل من نشاطه ويعرضه بصفة مستمرة للإحباط، خاصة في غياب من يقدم له الشروحات اللازمة حول المشاهد التي يتعرض لها.

كما أن مشاهدة الطفل للتلفزيون في جو عائلي ومع الراشدين- وهذا هو الوضع الغالب لدى الأسرة المغربية كما أظهرت ذلك النتائج المعبر عنها - وفي غياب حوار عائلي وانتباه للأبناء قد يضع الطفل في نفس المواقف السابقة، بل إن تأثير التلفزيون يكون أكثر سلبية في حضور الكبار الذين لا يولون كبير الاهتمام لحضور الصغار معهم لاسيما عندما تكثر التعليقات المختلفة حول الأحداث ويعدم الحوار وتتعالى الأصوات الداعية إلى صمت الجميع.

وحول ما إذا كان الآباء يناقشون مع أبنائهم ما يشاهدونه، أبانت النتائج على أن نسبة 19٪ هي التي تناقش بشكل دائم المشاهد التلفزيونية مع الأطفال مقابل 51,3٪، أي ما يفوق

نصف المستجوبين أوضحوا على أنهم يفعلون ذلك أحيانا، وعبرت النسبة المتبقية 29,7٪ بوضوح عن عدم تمكنها من فتح حوار مع الأطفال لنقاش أو تفسير ما تتم مشاهدته على شاشة التلفزيون. فالمناقشة مسألة ضرورية ولا غنى عنها لتفادي التأثيرات السلبية وغير المرغوب فيها عند إدمان الطفل على مشاهدة التلفزيون، فكثيرا ما يعتقد الأطفال - لاسيما الصغار- أن ما يشاهدونه هو حقيقة واقعية، وأنه بإمكانهم في الحياة الواقعية تجريب ذلك على نفسهم أو أخوتهم أو أقرانهم، وكثيرة هي الحوادث المؤلمة التي راح ضحيتها أطفال من جراء محاكاتهم لبعض المشاهد التلفزيونية، فما يقدمه هذا الأخير يستولي على لب الأطفال ويدفعهم إلى تجريب ذلك في لعبهم، فعادة ما يتغذى أسلوب لعبهم بما يزودهم به خيالهم الذي يتدخل التلفزيون في تشييد بنيانه.

الجدول4: مشاهدة الأطفال للتلفزيون بعد التاسعة مساءا

السن / المشاهدة	من 4 إلى 6 سنوات	من 7 إلى 9 سنوات	من 10 إلى 12 سنوات	المجموع	
				ت	%
دائما	0	7	10	17	5,7
أحيانا	31	92	49	172	57,3
أبدا	63	39	9	111	37
المجموع	94	138	68	300	100

عادة ما يركن الأطفال إلى النوم بعد التاسعة ليلا بالنظر إلى الطابع الحركي الخاص الذي يميز هذه الشريحة العمرية التي تهد قواها غالبا في مثل هذا الوقت. كما أن العادة التي يتبعها الآباء مع أطفالهم من خلال تعويدهم على النوم المبكر تبقى حاسمة في هذه الاتجاه، فالآباء الذين يتابعون التلفزيون خلال هذه الفترة غالبا ما يفشلون في إعداد أبنائهم للنوم مبكرا الأمر الذي يجعل هؤلاء الأطفال يتابعون في كثير من الأحيان المواد نفسها التي يتابعها الآباء على شاشة التلفزيون.

لقد أبانت النتائج المحصل عليها من خلال الإطلاع على معطيات الجدول4 بأن الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون بعد التاسعة ليلا بشكل دائم في المجموع تبدو ضئيلة إذ لا تتجاوز نسبة 5,7 ٪، يتشكل أغلبها من الشريحة العمرية 10-12 سنة، مما يمكن معه القول أن هذه الشريحة العمرية تتمتع بحرية أكبر بهذا الخصوص مقارنة مع باقي الشرائح العمرية الأخرى.

أما الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون بعد التاسعة ليلا بشكل غير دائم (أي أحيانا فقط) ترتفع نسبتهم لتحتل المرتبة الأولى ب 57,3 ٪ ، ونجدها مرتفعة لدى جميع الفئات العمرية وبشكل أخص لدى الفئة العمرية 7-9 سنوات. الأمر الذي يوضح غياب رقابة أبوية صارمة تجاه الأطفال خاصة لدى الفئة العمرية 4-6 سنوات والتي يشاهد 33 ٪ منها التلفزيون بعد التاسعة ليلا.

أما نسبة 37٪ من الآباء فقد أعربت بشكل واضح عن عدم مشاهدة أطفالهم للتلفزيون بعد التاسعة ليلا، وتأتي في مقدمتها الفئة العمرية 4–6 سنوات بنسبة 67٪ لتتدرج بشكل تناقصي للفئات التي تليها (28٪ للشريحة 7–9 سنوات و13٪ للشريحة 10–12 سنة). لتبرز هذه النتائج صرامة الآباء تجاه الأطفال الصغار وحرية أكبر لدى الأطفال الكبار.

ويبقى هذا بشكل عام هو الطابع المميز للأسرة المغربية التي يقتصر فيها التوجيه الأبوي على الفئات الصغرى من الأطفال ويتناقص تدريجيا مع تصاعد وتيرة السن، وقد نطرح هنا التساؤل التالي : أي الفئات العمرية التي تحتاج أكثر من غيرها للتوجيه والمراقبة في هذا الجانب، فهل الطفل ذو الأربع سنوات أم الآخر ذو 12 سنة؟

لقد دأب كثير من الأباء عندنا على اعتبار الطفل «رجلا» في بداية فترة المراهقة، يترك له هامش كبير من الحرية، وتقتصر المراقبة أو التتبع الأبوي على العلاقات الخارجية (الرفاق، المدرسة...). أما في داخل البيت فيهمل الطفل المراهق تماما ويترك لشأنه، وتكاد تحس باستقالة والديه في سن حرجة لا يزال يحتاج فيها الطفل للتوجيه والاهتمام الأبوي داخل البيت لاسيما في وجود «خطر» التلفزيون!

الجدول 5 : سلوك الآباء مع أطفالهم أثناء مشاهدة التلفزيون

سلوك الآباء	المشاركة في اختيار ما يشاهده الأطفال		ملاحظة الأطفال أثناء فترة المشاهدة		منافشة ما تتم مشاهدته مع الأطفال	
	ت	%	ت	%	ت	%
دائما	71	23.7	57	19	57	19
أحياناً	177	65.7	165	55	154	51.3
أبداً	32	10.6	78	26	89	29.7
المجموع	300	100	300	100	300	100

هل يشارك الآباء حقا في اختيار ما يشاهدونه أطفالهم على شاشة التلفزيون أم يقتصرون على مجرد إتخاذ موقف المتفرج، ويتركون بذلك المجال مفتوحا لهم قصد اختيار ما يودون مشاهدته؟ وكيف يمكن فعل ذلك حتى وأن تنبه الآباء، في وقت أصبحنا نغرق في بحر من القنوات الفضائية المتعددة الأشكال والمضامين، والتي تصلنا من كل حدب وصوب، ولا يستطيع أحد منا أن يتحكم في القنوات الفضائية بعد شرائه للجهاز المستقبل؟

وهكذا نجد أن إجابات الآباء حول هذا الإشكال جاءت على الشكل التالي :

- 65٪ من الآباء يشاركون في اختيار ما يشاهده أطفالهم من مواد وبرامج على شاشة التلفزيون أحيانا فقط و23٪ بشكل دائم ؛
- 55٪ من الآباء يلاحظون ويتتبعون أبناءهم أثناء مشاهدة التلفزيون أحيانا فقط و19 ٪ بشكل دائم ؛
- 51٪ من الآباء يعملون على مناقشة ما تتم مشاهدته من مواد وفقرات تلفزيونية مع أبنائهم أحيانا فقط و 19٪ بشكل دائم

بإطلالة سريعة على هذه النتائج يتبين أن موقف الآباء يبقى غير صارم تجاه التلفزيون، وحضورهم غير دائم في الإجمال، وبالتالي فهم لا يمثلون رقابة حقيقية على ما يشاهدونه أطفالهم من برامج ومواد. ونكاد نقول إن حضور الآباء هنا يكون أحيانا بمحض الصدفة، فالانشغالات التي ميزت العصر الحالي جعلت منهم (أي الآباء) في كثير من الأحيان منهكين لدى دخولهم البيت غير عابئين بما يقع تحت سقف المنزل، حيث قلة منهم لا تتجاوز الخمس هي التي عبرت بوضوح عن ذلك التتبع انطلاقا من المشاركة في اختيار المواد

التلفزيونية إلى ملاحظة الأطفال وتتبعهم أثناء مشاهدة التلفزيون ومناقشة ما يستلزم ذلك معهم في المقابل نجد ما يلي:

- 10٪ لا يشاركون إطلاقا في اختيار ما يشاهدوه أطفالهم ؛
- 26٪ لا يلاحظون مطلقا أبنائهم أثناء فترات مشاهدة التلفزيون ؛
- 29 ٪ لا يناقشون ما تتم مشاهدته على التلفزيون مع أبنائهم.

من الملاحظ أن هذه النسب المحصل عليها والتي تعبر عن غياب التتبع والاهتمام من لدن الآباء، تقابل تقريبا تلك التي أبان فيها الآباء عن تتبعهم وإرشادهم وتوجيههم لأبنائهم، حيث يتقارب متوسط نسبها: 21 ٪و20٪ في الحالة الأولى ، وتظل غالبية الإجابات المحصل عليها تنضوي تحت بند «أحيانا»، بحيث لا يمكن في الحقيقة تصنيفها في هذه الخانة أو تلك، فهي إجابة بينية وضعت أساسا لتفادي الحرج وتجنب التقابل السلبي الذي تعبر عنه نمطية نعم / لا.

الجدول 6 : نوعية البرامج التي يشاهدها الأطفال بكثرة حسب السن

السن / نوعية البرامج	من 4 إلى 6 سنوات	من 7 إلى 9 سنوات	من 10 إلى 12 سنوات	المجموع	
				ت	%
دائما	39	65	44	202	24.5
أحيانا	85	45	33	163	27.8
أبدا	25	72	123	220	37.3
المجموع	**203**	**182**	**200**	**585**	**100**

إن أول ما يسترعي الانتباه هو أن عدد أفراد العينة قد تضاعف والسبب أن الأجوبة قد تعدت الواحدة، وبالتالي لم يكن هناك اختيار وحيد بل اختياران أو ثلاثة، وهكذا يشاهد أكثر من ثلث العينة (37,7٪) البرامج العادية في التلفزيون ومعنى ذلك أنهم يشاهدون كل شيء أي حتى تلك البرامج المخصصة للكبار. وترتفع هذه المشاهدة أكثر لدى الفئة العمرية 10-12 سنة حيث يمثلون نسبة 56 ٪ من مجموع المشاهدين لهذه البرامج ، في حين لا يتعدى لدى الفئة العمرية 4-6 سنوات 11,4 ٪، ويلاحظ أنه كلما أرتفع سن العينة إلا وأرتفع عدد المشاهدين للبرامج العادية أي تلك المبثوثة لكل الشرائح، وهذا يدل حقيقة على أن المراقبة

الأبوية تقل مع ازدياد السن حيث تكثر بشكل ملحوظ حرية الأطفال.

أما بخصوص الإعلانات (الإشهار) فقد أبانت نسبة 8 ,27٪ من الأطفال عن مشاهدتها لها، وهي نسبة جد مهمة تشكل الشريحة العمرية 4-6 سنوات 52 ٪ منها، وتقل تدريجيا لدى الشرائح العمرية الأخرى، وتؤكد الأسر المبحوثة على الجاذبية الكبرى للإعلانات بالنسبة للأطفال الصغار بما تحمله من موسيقى وصخب وألوان مميزة تجعل أذان الطفل قبل عيونه تلتقطها بسرعة قياسية، لقد نجح إذن صانعو البرامج الإشهارية في إثارة انتباه الأطفال بشكل خاص، كما يتضح من خلال النتائج المسجلة قلة اهتمام الأطفال الأكبر سنا بهذه الإعلانات ربما لعدم تكييفها شكلا ومضمونا مع تدرج المراحل العمرية المختلفة...

ونسجل أيضا قلة اهتمام هذه الفئة ببرامج الأطفال في المقابل تستهوي هذه الأخيرة بشدة الفئة العمرية 4-6 سنوات. فهل هذا يعني بالضرورة أن الأطفال الذين يكبرون في السن تتغير تبعا لذلك نظرتهم للبرامج الخاصة بهم، وتظهر احتياجات جديدة ربما لا يلبيها التلفزيون الذي يجد في كثير من الأحيان نفسه عاجزا عن مواكبة تطلعات الفئات العمرية المختلفة من الأطفال؟ فهل التلفزيون غير قادر على الوفاء

بالتزاماته تجاه مختلف شرائح الأطفال؟ هل لديه القدرة على تكييف برامجه وفق مراحل النمو التي يمر بها الأطفال؟

إنها تساؤلات تحاول تسليط الضوء على المفارقة الموجودة أحيانا والتي يكون بطلها التلفزيون عن وعي أو غير وعي، والتي مفادها أن البرامج الموجهة للأطفال لا تثير في كثير من الأحيان كافة شرائح الأطفال، ولا يجد فيها البعض تلك المتعة التي تبقى مفقودة حتما.

الجدول 7 : تعرض الأطفال لمشاهد لا تناسبهم بحسب القنوات

القنوات / التعرض لمشاهدة غير مناسبة	القنوات المحلية	القنوات الفضائية	المجموع	
			ت	%
دائما	17	98	115	48.9
أحيانا	53	67	120	51.1
المجموع	70	165	235	100

لقد قمنا بعرض نتائج الجدول الخاص بتعرض الأطفال لمشاهد لا تناسبهم بحسب نوعية القنوات تم الاستغناء فيه عن 65 إجابة لكونها تنفي تعرض الأطفال لهذه المشاهد والتي تمثل نسبة 21,6 ٪ أي ما يعادل تقريبا خمس أفراد العينة، وقد أقتصر الجدول على الحالات المتبقية (235 فردا).

ويتضح من خلال استقراء أولي لنتائج الجدول أن نسبة 48,9 ٪ أي ما يقارب نصف العينة أكدت تعرض أطفالها لمشاهد لا تناسبهم بشكل دائم سواء في القنوات المحلية أو الفضائية، حيث تأتي هذه الأخيرة في المقدمة بنسبة 85,3٪ أما القنوات المحلية (المقصود بها في المغرب 2M وRTM) فهي لا تتجاوز نسبة 14,7٪ .

وقد عبرت نسبة 51,1٪ من الآباء على تعرض أبنائهم لمشاهد لا تناسبهم أحيانا فقط في القنوات المحلية(44,1٪) والقنوات الفضائية (55,9٪)، وهكذا يتبين أن القنوات الفضائية تعتبر المصدر الأساسي لقلق الآباء، خاصة في ظل التحولات التكنولوجية الهامة التي طبعت وسائل الاتصال وخاصة التلفزيون، فالانتشار المذهل للقنوات الرقمية مع طابع التنوع والتعدد جعلها إذن تشكل المرتبة الأولى كمصدر للمشاهد غير المناسبة سواء بشكل دائم أو أحيانا فقط بنسبة 70,3٪ في حين لا تتعدى نسبة ذلك في القنوات المحلية 29,7٪.

إن تأثير القنوات الفضائية يعززه أكثر التقنيات الهائلة والتكنولوجيا الرفيعة المستوى مما يجعلها تتفوق أكثر على القنوات المحلية، إن هذا الغزو التكنولوجي يجعل الأطفال مشدوهين وأكثر التصاقا بما تقدمه هذه القنوات على مدار 24

ساعة من البرامج سواء كانت تلك المخصصة للصغار أو غير ذلك. ودائما يجب أن نستحضر هذه الخطورة الماثلة أمام أعيننا والتي تفيد أن البرامج التي تبثها القنوات الفضائية لاسيما الغربية هي أصلا من إنتاج بيئة مختلفة كل الاختلاف عن بيئتنا، مشبعة ومحملة بقيم مجتمعات لا تمت إلينا بصلة سوى أنها تعاصرنا من حيث الزمن، ومع ذلك فالتأثير الثقافي والقيمي والحضاري برمته والذي يعني بالملموس تأثر شرائح أطفالنا بذلك تأثراً كبيرا وقد يصبحون في كثير من الأحيان نماذج تلفزيونية موجهة وخاضعة.

تأثيرات التلفزيون على سلوك الأطفال

نهدف من خلال هذا الجزء إلى معرفة مدى التأثيرات التي يحدثها جهاز التلفزيون على الأطفال برأي الآباء، ولهذه الغاية فقد تراوحت الاختيارات التي تقدمها الاستمارة بين ما هو سلبي وما هو إيجابي أيضا، في محاولة لتلمس نوعية الإجابات التي يقدمها الآباء بهدف قياس حصول هذه التأثيرات حقا، وأي منها يبقى الأكثر أهمية من الباقي وكيف تتأثر تبعاً لمتغيرات السن والجنس وعدد ساعات مشاهدة التلفزيون...

الجدول 8 : اضطرابات النوم بعد مشاهدة التلفزيون ليلا بحسب السن

السن / اضطراب النوم	من 4 إلى 6 سنوات	من 7 إلى 9 سنوات	من 10 إلى 12 سنوات	المجموع	
				ت	%
دائما	65	54	22	141	47
أحيانا	18	55	20	93	31
أبدا	11	29	26	66	22
المجموع	94	138	68	300	100

يتبين من خلال ما تعبر عنه نتائج الجدول 8 أن اضطراب النوم يصيب نسبة 47٪ من الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون ليلا بشكل دائم، أي ما يقارب نصف مجموع العينة، 46٪ منهم ينتمون إلى الفئة العمرية 4-6 سنوات و38 ٪ لفئة السن 7-9 سنوات، إذن يمكن القول إن اضطراب النوم يكون بشكل دائم للأطفال الأقل من 9 سنوات والذين يشاهدون التلفزيون ليلا.

أما بخصوص الأطفال الذين يشهدون هذا الاضطراب أحيانا فقط فقد جاءت نسبتهم كما يلي:

- 19,3٪ للفئة العمرية 4-6 سنوات.
- 59,2 ٪ للفئة العمرية 7-9 سنوات.
- 21,5٪ للفئة العمرية 10-12 سنة.

وهكذا إذن نجد أن 78٪ من الأطفال المستجوبين (آباؤهم) يتعرضون بشكل دائم أو أحيانا لاضطرابات النوم بعد مشاهدة التلفزيون ليلا، وهذه النسبة تشمل جميع فئات السن بالنسبة للأطفال وبشكل خاص الأطفال الأقل من 9 سنوات بنسبة 82 ٪، وتظل برأي الأباء نسبة 22٪ من الأطفال الذين لا يتأثرون إطلاقا بمشاهدة التلفزيون ليلا ولا يضطرب نومهم.

لعل مشاهدة الأطفال للتلفزيون خاصة بعد التاسعة ليلا يجعل أمر نومهم المبكر مسألة صعبة، وتصبح عادة السهر بالنسبة إليهم أمرا معتادا، مما تكون له انعكاسات جمة على صحة الأطفال لاسيما الصغار منهم، ويعود من الصعب إيقاظهم باكرا، مما حدا ببعض المؤسسات التعليمية الخاصة على حث الأباء بشكل كبير على تجنيب أبنائهم مشاهدة التلفزيون بعد التاسعة ليلا.

الجدول 9 : استعمال ألفاظ جديدة حسب الجنس

الجنس / استعمال ألفاظ جديدة	ذكور	إناث	المجموع	
			ت	%
نعم	97	148	245	81.7
لا	38	17	55	18.3
المجموع	135	165	300	100

يلاحظ بناءا على نتائج الجدول أعلاه أن نسبة 7 ,81٪ من الأطفال ذكورا وإناثا يستعملون ألفاظاً جديدة من خلال مشاهدتهم للتلفزيون كما أكد ذلك الأباء، وهذه نسبة جد مهمة خاصة وإن لم تؤكدها العديد من الدراسات والأبحاث المنجزة في الشأن(2)، فالتلفزيون يساعد الطفل على اكتساب مفردات جديدة لا سيما في مراحل سنه الأولى، لكن السؤال الذي يبقى مطروحا هو ما نوع هذه المفردات؟ لاشك أن عددا كبيرا من الآباء يعتبر بعض المفردات غير لائقة وقد تفسد ذوق الطفل وتعكر سلامة لغته، خاصة عندما يتعلق الأمر ببعض الوصلات الإشهارية التي تحاول لفت الانتباه باستعمال بعض نجوم الكوميديا والفكاهة، فتدخل هذه المفردة أو تلك إلى القاموس اللغوي للطفل طاردة مفردة أسلم وأفضل منها.

ومهما يكن من أمر ذلك فالمعطيات تؤكد أن نسبة الإناث اللواتي يبدأن في استعمال مفرادت وألفاظ جديدة تمثل 4 ,60٪ وتتجاوز بذلك نسبة الذكور التي لا تتعدى 6, 39٪. ولا نجد لهذا الأمر تفسيرا إلا بالعودة إلى نتائج الجدول رقم 2 الخاص بمدة مشاهدة الطفل للتلفزيون في المتوسط حسب الجنس، حيث تؤكد معطيات هذا الجدول وجود تفاوت في مدة مشاهدة التلفزيون لدى الجنسين فهي مرتفعة لدى الإناث بشكل ملحوظ.

(2) انظر الجانب النظري من الدراسة حول اكتساب اللغة.

ويعود ذلك في اعتقادنا إلى الدور الذي لازالت تلعبه الأنثى في مجتمعاتنا، فالطفلة في أسرنا أكثر التصاقا بالبيت من الطفل الذكر، فمهما حصلناه من تقدم لا تزال فيه البنت رهينة البيت في غالب الأحيان، ويظل مجال لعبها لا يتجاوز جدران المنزل إلا في حالات نادرة، بفعل «الأخطار» التي تحدق بها من كل جانب في مجتمع ذكوري يلعب فيه الهاجس الأمني دورا بارزا داخل معظم الأسر المغربية، فالجرائم التي باتت ضحيتها الفتيات والطفلات سجلت ارتفاعا مطردا، مما ولد لدى المرأة عموما إحساسا بفقدان الأمن والآمان في مجتمعها، وجعل بالتالي خروجها من البيت بلا مبرر أو حاجة ماسة أمرا صعبا في كثير من الأحيان، وهذا ما يعزز برأينا سلوك البقاء في البيت لدى الإناث.

الجدول 10 محاكاة أنماط السلوك المتضمنة في البرامج بحسب عدد ساعات مشاهدة المواد التلفزيونية

المدة / المحاكاة	أقل من ساعة	مابين ساعة وساعتين	مابين 2 و3 ساعات	أكثر من 3 ساعات	المجموع ت	المجموع %
نعم	5	12	87	53	157	52
لا	17	35	55	36	143	48
المجموع	22	47	142	89	300	100

إن محاكاة الطفل وتقليده لسلوكات صادرة عن محيطه أمر طبيعي، فلقد أوضح علم النفس النمو أن الطفل لا ينمو ولا يكبر إلا بتقمص نماذج محببة إليه، وغالبا ما تنتمي هذه النماذج إلى وسطه العائلي كالأب والأم والأخوة... كما أن الأمر قد يتجاوز ذلك إلى نماذج أخرى لها احتكاك ما بعالم الطفل، إن عملية التقمص تعتمد بالأساس على أسلوب التقليد الذي يتخذ شكلا لاشعوريا في الغالب الأعم.

ويتيح التلفزيون للطفل إمكانيات هائلة للتقليد سواء تم ذلك بطريقة شعورية، أي يعي الأطفال ما يقومون به فعلا أو اتخذ شكلا تقمصيا في تماهي مع شخصيات تلفزيونية معينة. إن التلفزيون يقدم للأطفال يوميا وعلى مدار 24 ساعة نماذج متعددة من الأبطال والشخصيات التلفزيونية «الرائعة» أي تلك التي يحلم كل طفل أن يكون مثلها، فأغنوا خيال الأطفال وعادوا (أي الأبطال) مصدرا أساسيا يرسم ملامح شخصيتهم، ولقد أبانت العديد من الدراسات لاسيما في الغرب عن الكيفية التي يخلق بها التلفزيون «ويقولب» شخصية الطفل ليصبح هذا للأخير شخصية تلفزيونية بامتياز.

إن ما تقدمه الشاشة من شخصيات يجعل منها، من فرط تكرارها ونمطيتها، مقربة إلى الطفل ومحببة إليه حيث لا يتوانى في تقليد كل ما يصدر عنها من حركات وسكنات، ومما

يرسخ أكثر عادة التقليد والمحاكاة عند الطفل هي الساعات الطويلة التي يقضيها أمام التلفزيون.

إذن ومن خلال نتائج الجدول 10, الذي أفردناه لهذه المسألة (المحاكاة/ عدد ساعات المشاهدة) يتبين لنا ما يلي:

- 52٪ من الأطفال (وهو ما يفوق نصف العينة) يقلدون ما يشاهدونه على شاشة التلفزيون، وتتخذ هذه المحاكاة عدة أشكال كالحركة، أسلوب الكلام، اللباس...
- يتوزع الأطفال الذين يحاكون أنماط السلوك المتضمنة في البرامج التلفزيونية وفق ساعات المشاهدة كالتالي:

- 22,7 ٪ من الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون لأقل من ساعة.

- 61,2٪ من الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون ما بين ساعتين و3 ساعات.

- 59,5٪ من الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون لأكثر من ثلاث ساعات.

وتدل هذه النتائج أنه كلما ارتفع عدد ساعات مشاهدة الأطفال للتلفزيون إلا وترتفع معها نسبة محاكاتهم للأنماط السلوكية المتضمنة في البرامج التي تبث على الشاشة.

الجدول 11: بعض التأثيرات الأخرى للتلفزيون على سلوك الأطفال برأي الآباء

تأثيرات التلفزيون	نعم		لا		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%
الأفراط في الطعام	115	38.3	185	61.7	300	100
التهاون في الدراسة	178	59.3	122	40.7	300	100

لا يمكن حصر تأثيرات التلفزيون في جوانب محددة دون أخرى، وبالتالي فإنه من اللازم استجلاء بعض الغموض الذي يكتنف علاقتها ببعض السلوكات في مجتمعنا، حيث إن معظم الدراسات التي تناولت هذا الجانب غربية المنشأ، وعملت بشكل واضح على دراسة هذه التأثيرات في مجتمعات تختلف شكلا ومضمونا، فالطفل الأمريكي الذي يشاهد التلفزيون وبيده قطعة هامبورغر قد لا يشبه في شيء الطفل المغربي الذي لا يأكل كثيرا أثناء مشاهدة التلفزيون مثلا. وقد أوضحت نتائج الجدول أعلاه هذه الحقيقة، إذ أبانت نسبة 61,7٪ من المستجوبين عن عدم إفراط أبنائهم في الطعام أثناء فترات المشاهدة مقابل فقط 38,3٪ الذين أكدوا ذلك (الإفراط في الطعام)، وهكذا يتضح أن ما يناهز الثلثين نفوا وجود هذا التأثير السلبي على أطفالنا الأمر الذي يبعد خطر الإصابة بأمراض بالسمنة obésité مثلا عن مدمني التلفزيون.

في المقابل نلمس حرص الآباء على الجوانب الدراسية للأبناء واهتمامهم الخاص بالحياة الدراسية، الأمر الذي يجعلهم يعتبرون أن خطر التلفزيون ينعكس بشكل أساسي على التلاميذ ربما أكثر من باقي الشرائح الأخرى من الأطفال إذا سلمنا وجود فئات غير متعلمة منهم، فالتلاميذ تنتظرهم الواجبات الدراسية.

وهكذا فقد أظهرت النتائج الخاصة بالجدول 10 أن نسبة 3 ,59٪ من الآباء أكدوا على تهاون أبنائهم دراسيا من جراء تتبعهم للبرامج التلفزيونية مقابل 7 ,40٪ ممن نفوا ذلك قطعيا، إن إغراءات التلفزيون التي يمارسها يوميا على مشاهديه الصغار يجعلهم يقبلون على المقررات الدراسية في تثاقل واضح. وفي هذا يبدو أن تأثير التلفزيون يكون أكثر سلبية على الميدان الدراسي بالمقارنة مع مسألة الإفراط في الطعام مثلا.

ثامنا
خاتمة وتوصيات



خاتمة وتوصيات

من خلال ما تقدم يتبين أن تأثير التلفزيون يتجاوز بالتأكيد الحدود التي يمكن أن نرسمها سلفا، وأن هذا التأثير قد يتعاظم عندما تغيب الرقابة الأسرية وتطول فترة المشاهدة كما اتضح من خلال نتائج الاستطلاع. فلقد أظهرت هذه الدراسة مجموعة من الخلاصات الأساسية والتي يجب التذكير بها في السياق التالي:

- إن مشاهدة التلفزيون لأوقات طويلة تحرم صغار الأطفال من النشاطات الطبيعية اللازمة للنمو السوي والتواصل الإيجابي مع المحيط وعلى الأخص التفاعل والتلاحم الضروري مع الأبوين، أو من يقوم مقامهم. كما أن برامج التلفزيون السيئة الإعداد، لا سيما تلك المتوفرة في بلداننا، تزيد الطين بلة، فلا يقف الأمر عند مجرد الحرمان من النشاطات الطبيعية اللازمة للنمو السوي، ولكنه قد يؤثر سلبا على النمو العقلي والوجداني للأطفال.

- إن مشاهدة الأطفال الصغار للتلفزيون فترات طويلة، خاصة قبل النوم مباشرة، تزعج نومهم؛ إذ يبدون مقاومة

شديدة للنوم، ويستيقظون أثناء النوم بمعدلات أعلى من العادي، الأمر الذي ينعكس سلبيًّا على صحتهم بوجه عام وعلى تطور قدراتهم العقلية والوجدانية بوجه خاص. ويقلل نمط النوم القلق من الانتباه في المدارس مما يؤثر لا محالة على التحصيل الدراسي. كما أن من شأن المشاهدة الطويلة أن تؤثر على نشاط وحيوية الأطفال مما يعني أنهم لن يجدوا الوقت لممارسة نشاط آخر من الممكن جداً أن يكون أكثر فائدة وأهمية، كاللعب مع الأطفال الآخرين ، أو مطالعة بعض الكتب، أو ممارسة الرياضة... ويمكن أن يتحول الإفراط في مشاهدة التلفزيون في مراحل النمو الأولى إلى نوع من الإدمان الذي يصعب الإقلاع عنه في مراحل العمر التي يصبح فيها الإقبال على الأنشطة الحيوية أمرا ضروريا.

- يرتبط الإفراط في مشاهدة التلفزيون، ببدانة الأطفال، وهي سمة غير مرغوب فيها صحيًّا بوجه عام. وتتفاقم هذه المشكلة بسبب إقبال الأطفال أثناء مشاهدة التلفزيون على أنواع الطعام والشراب المصنعة غير الصحية نظرًا لاحتوائها على كثير من الدهون والسكريات، ويلاحظ أن الإشهار التلفزيوني يعمل كثيرا على تكريس هدا النوع من الأطعمة والمشروبات، ويرتبط

التعود على هذه الأنواع من الطعام والشراب والإفراط في مشاهدة التلفزيون بقلة الحركة بسبب الجلوس أو الاسترخاء أمام هذا الجهاز السحري.

- ولعلَّ أكثر السلبيات والأضرار المرتبطة بعادة مشاهدة التلفزيون هي مظاهر العنف المعروضة في البرامج التلفزيونية التي لا تقتصر على الأفلام بل تمتد إلى المشاهد العنيفة الخاصة بالحوادث والحروب والكوارث الطبيعية التي تتخلل نشرات الأخبار. فالمعروف أن التعرض الزائد للعنف يضرُّ بالتطور العاطفي للأطفال، ويشكل التعرض الزائد للعنف حالة من التعود على السلوك العنيف، وتوقعه؛ مما يغذي التوتر النفسي والاضطراب الوجداني للأطفال. ولا يقف الأمر عند هذه الحدود بل يتعداها إلى اقتراف فعل العنف في حد ذاته.

- ومما يعزز الطروحات السابقة هو ميل الأطفال الصغار لتصديق ما يرونه على الشاشة الصغيرة دون التفرقة بين الحقيقة والخيال، فمن يقتل في مشهد تلفزيوني مثلاً لا بد وأنه يموت فعلاً، والدم المراق في البرامج يحمل كل المعاني والآلام المرتبطة بذلك، ولنتخيل إذن معاناتهم مما يقترف في حقهم من عنف على الشاشة الصغيرة وآثار تلك المعاناة على نموهم العقلي والعاطفي.

وقد أدى مجمل الأسباب المذكورة أعلاه إلى أن تصدر جمعية طب الأطفال الأمريكية - على سبيل المثال - أكثر من مرة في التسعينيات من القرن الماضي، آخرها في عام 1999 بيانات صارمة تؤكد على عدم السماح للأطفال الأصغر من عامين بمشاهدة التلفزيون على الإطلاق، وعلى منع وجود أجهزة التلفزيون والأجهزة الإلكترونية المشابهة في غرف الأطفال، وألا تطول مشاهدة الأطفال الأكبر من عامين للتلفزيون عن ساعتين في اليوم، شريطة أن تكون البرامج المشاهدة من النوعية المناسبة لهم.

وتؤكد مجمل التوصيات الهادفة للحد من آثار مشاهدة الأطفال للتلفزيون على ضرورة تلقين الآباء، والفئات المكلفة برعاية الأطفال الصغار، والأطفال ذاتهم، طبيعة التعامل مع البرامج التلفزيونية وكيفية فهمها واستيعابها.

وفي هذا الإطار نقدم للقراء في ختام هذه الدراسة نماذج لمجموعة من البطائق وضعناها خصيصا لمساعدة الآباء والمربين والمشرفين على تربية الأطفال لمعرفة بعض الصعوبات المطروحة في مواجهة التلفزيون وإخضاع سلوك الأطفال للتوجيه التربوي اللازم:

- **البطاقة 1: حول الأسرة والتلفزيون**

تضم هذه البطاقة خمس أسئلة يستحسن طرحها للأطفال أثناء فترة مشاهدة البرامج التلفزيونية، وذلك من أجل الحد من التأثيرات السلبية ومعرفة تقييمهم الخاص للبرامج ومناقشتهم في ذلك وفق الإمكانيات المتاحة.

- **البطاقة 2: كيفية التغلب على السلوك العنيف**

تم وضع هذه البطاقة خصيصا لتجاوز وضعية التلقي السلبي لكل المشاهد العنيفة المقدمة على الشاشة الصغيرة، حيث تضم وصف لعملية تنشيطية يقوم بها الآباء بمعية أبنائهم قصد التعرف على العنف التلفزيوني وتقدير النتائج المترتبة على السلوك العنيف عموما. ويتلو هذه البطاقة نموذج لطرق الحد من آثار العنف التلفزيوني على الأطفال بحسب السن مقترح من لدن الجمعية الكندية للتلفزيون لمساعدة الآباء على تغيير بعض العادات المرتبطة بالتلفزيون داخل الأسرة.

- **البطاقة 3 : حول ممارسة الأنشطة**

تقوم هذه البطاقة بالتعريف بأهمية الأنشطة العائلية في الحد من العادات السلبية عموما ومنها على الخصوص طول

فترة مشاهدة التلفزيون، فهي تعمل على تحفيز الآباء للقيام بعدد من النشاطات البدنية صحبة أبناهم .

- **البطاقة 4 : استمارة للآباء حول الحياة النشيطة**

تضم هذه الاستمارة خمس أسئلة موجهة للآباء قصد التعرف أكثر على ما يرتبط بعاداتهم اليومية خاصة الجوانب النشيطة، كل سؤال يحتوي على أربع أجوبة ممكنة وضع لها سلم للتنقيط من 0 إلى 3 درجات، علما بأن المفتاح الموجود في الأخير هو الذي يحدد ما إذا كان الآباء في حاجة إلى مجهود إضافي فيما يتعلق بالجوانب النشيطة أم لا.

- **البطاقة 5 : هل تعرفون جيدا أطفالكم**

وضعت هذه الاستمارة التي تحتوي على ثلاثين سؤالا لإثارة انتباه الآباء إلى أطفالهم، وهل هم على معرفة جيدة بأبنائهم، فالأكيد أنهم في غمرة الانشغالات اليومية لا يعيرون اهتماما كبيرا لمستجدات أطفالهم وما يتعلق بدقائق حياتهم، لعل الإجابة على هذه الأسئلة سيمنح بالتأكيد الإمكانية للآباء على موقعة أنفسهم ، أي إلى أي حد هم على اطلاع بيّن بمستجدات حياة أبنائهم؟

البطاقة 1 : حول الأسرة والتلفزيون

خمس أسئلة يستحسن طرحها للأطفال أثناء فترة المشاهدة

1 - هل يعجبك هذا البرنامج/ الفيلم؟

وذلك لحثهم على تكوين رأي خاص بهم حول كل ما يشاهدونه على شاشة التلفزيون، وكذا مناقشة تقييمهم الخاص لذلك، علما بأنه من المهم جدا احترام آرائهم حول هذه المواضيع مع ضرورة تعريفهم بوجهة نظر الآباء في هذا الشأن.

2 - ما هي النهاية المتوقعة لهذا الشريط برأيك؟

وهذا قصد حث الأطفال على التفكير جديا وبشكل معمق، وتعويدهم على التنبؤ والتوقع بخصوص الوضعيات التي يشاهدونها.

3 - بماذا تحس أثناء فترة المشاهدة؟

التلفزيون يؤثر بلا شك على إحساسنا وشعورنا، لذا يمكنكم بهذه الطريقة معرفة جملة من الأحاسيس التي تنتاب أطفالكم كالخوف والقلق والهلع والفرح والانتشاء..

4 - هل يمكن أن يقع هذا؟

من المفيد أيضا إثارة انتباه أطفالكم إلى المفارقة الكائنة بين عالم التلفزيون والعالم الحقيقي، لابد من دفعهم إلى اكتشاف هذه الحقيقة بطرح بعض التساؤلات من قبيل هل هذا ممكن ؟ هل تحل هذه المشكلة بهذه البساطة... وبهذه الطريقة؟ يمكنكم من خلال ذلك أن توضحوا لهم الفرق بين الواقع والخيال.

5 - ماذا تفعل لحل هذه المشكلة؟

يدفع هذا التساؤل الأطفال إلى الانتقال من العالم الخيالي إلى العالم الحقيقي، ويسمح أيضا بالاقتراب من فهم القيم والعلاقات الإنسانية المطروحة. ويمكن أن يقدم التلفزيون حلولا مقبولة للمشكلة لكنها قد تكون جد سهلة أنصتوا بعناية إلى الأفكار التي يقدمها أطفالكم قبل طرح أفكاركم.

البطاقة 2 : كيفية التغلب على السلوك العنيف

- بطاقة للآباء-

أظهرت الأبحاث بأن تصرف الأطفال في المواقف العنيفة والصراعات يكون بتأثير من الآباء وأيضا التلفزيون، لهذا نضع بين أيديكم هذه البطاقة لمساعدتكم على التغلب على السلوك العنيف.

❀ ناقشوا أطفالكم حول ما يرونه على الشاشة:

- ماذا يفهمون مما يقدم على الشاشة؟
- ما يفضلون أو لا يفضلون رؤيته على الشاشة؟
- ما يقلقهم؟ ولماذا؟

❀ أثناء مشاهدتكم لشريط أو مادة تلفزيونية

- اقترحوا على أطفالكم تعداد الأفعال العنيفة ؛
- قارنوا بين النتائج المحصل عليها في نهاية المادة ؛
- هل هناك فرق؟ ولماذا؟

❀ عندما تشاهدون مشهدا عنيفا على الشاشة

- اطلبوا من أطفالكم ما الدافع الذي جعل الشخص يتصرف بعنف؟

- اطلبوا منهم هل كان بالإمكان التصرف بطريقة مغايرة؟

- هل يوجد هناك حل غير عنيف للمشكلة؟

- من الضروري إثارة انتباههم أن الناس نادرا ما يلجأون إلى العنف لحل مشاكلهم.

❀ ابحثوا أجمعين عن وضعية أو شخص ما في حالة غضب دون أن يتصرف بعنف أو على العكس (عنف بلا غضب)

- ما هي الفروق التي يراها الأطفال في هذين الموقفين؟

- هل يجدون راحتهم في وضعية ما؟

❀ عندما تشاهدون على الشاشة وضعية شجار عائلي

- اطلبوا منهم هل يوجد هناك فرق بين الحلول التي يقترحها التلفزيون وبين الحلول الواقعية داخل الأسرة.

❀ أمام مشهد عنيف

- اطلبوا من أطفالكم تقدير النتائج المترتبة عن الفعل العنيف؟

- ماذا سيحصل لو أن ذلك التصرف تم في الحياة الواقعية؟

❀ اقترحوا على أطفالكم لعبة

- اطلبوا منهم القيام بلعبة وإيجاد مشكلة والتصرف بالطريقة التي يرونها مناسبة لحل هذه المشكلة أو على الشكل الذي يرونه في التلفزيون.

- كل السبل للحل مقبولة إلا العنيفة.

❀ حاولوا مع أطفالكم خلق برنامج أسبوعي لمشاهدة التلفزيون

- اطلعوا على البرنامج الأسبوعي للمواد التلفزيونية وناقشوا المحتوى.

- عندما تجدون بعض المواد أكثر عنفا وغير مناسبة قوموا بشرح مبرراتكم للأطفال ؛

- حاولوا ما أمكن حصر برنامج المشاهدة وذلك للقيام بأنشطة أخرى.

طرائق للحد من آثار العنف التلفزيوني على الأطفال بحسب السن

مقترحة من لدن الجمعية الكندية للتلفزيون لمساعدة الآباء على تغيير بعض العادات المرتبطة بالتلفزيون داخل الأسرة

1- بالنسبة للرضيع (من الولادة إلى 18 شهرا):

الأطفال الرضع لهم رغبة كبيرة في الحركة والأكل أكثر من مشاهدة التلفزيون، في هذه المرحلة من نمو الطفل لا يمثل التلفزيون بالنسبة إليه إلا صندوقا ينبعث منه الضوء والصوت.

النموذج المقترح للتدخل:

تنغرس العادات مبكرا لدى الأطفال على الرغم من أنهم في هذه المرحلة لا يشاهدون حقا التلفزيون. لقد أكد الباحثون على أنه الوقت المناسب بالنسبة للآباء لضبط عاداتهم التلفزيونية، من الأفضل تحديد فترات مشاهدة التلفزيون وأيضا فترات النقاش والاستماع العائلي.

2- بالنسبة للصغار من 18 شهرا إلى سنتين:

يلاحظون أكثر مما نعتقد

الصغار في هذا السن يحاولون تقليد ما يرون وما يسمعون من أصوات، لاسيما الوصلات الإشهارية، يحبون الألوان بكثرة

وخاصة الرسوم المتحركة. في السنة الثالثة يمكنهم تتبع برنامجهم المفضل.

وعلى الرغم من أننا قد نراهم مشغولين في لعبهم فآذانهم تلتقط من التلفزيون أكثر مما نتوقع.

المراقبة:

يمكن للآباء مراقبة العادات التلفزيونية لأبنائهم والتقليص من فترات مشاهدة التلفزيون بالنسبة للصغار والتدخل لاسيما أمام المشاهد العنيفة.

أنشطة مشتركة:

عادة ما يقبل الأطفال الصغار على تتبع البرامج المخصصة لهم كالرسوم المتحركة.. ومن الأفضل بالنسبة إلى الآباء مشاركة أطفالهم أثناء فترات المشاهدة مع خلق أنشطة حركية مع الأطفال: غناء، رقص، حركة...

3- الأطفال ما قبل المدرسة (3- 5 سنوات):

الأطفال في سن ما قبل المدرسة يولون أهمية كبيرة للتلفزيون، فهم على عكس الرضع أو الصغار جدا، يتابعون

باهتمام المشاهد التلفزيونية المختلفة: الحركة- الموسيقى الصاخبة... وهذا يعني أنهم يتابعون أحيانا المشاهد العنيفة.

لا يميز أغلب الأطفال في سن ما قبل المدرسة بين الحقيقة والخيال la fiction، إنهم غير قادرين على إدراك وفهم حقيقة المشاهد العنيفة على التلفزيون، فهم عادة ما يخلطون بين الأشياء، فكثيرا ما يعتقدون أن الوصلات الإشهارية جزء من فيلم ما أو برنامج ما.

تحتوي الرسوم المتحركة على خمس أضعاف من العنف الموجود عادة في البرامج العادية، الأمر الذي يحدث نوعا من الخوف والقلق لديهم كما من شأن ذلك أن يجعلهم أكثر عنفا وعدوانية في لعبهم.

كما أن الألعاب التي بحوزة الأطفال والمتمثلة في الأسلحة البلاستيكية، ومن خلال ما يعرض على الشاشة من مشاهد، تشجعهم كثيرا على إعادة تجسيد العنف.

المراقبة والضبط:

من المهم جدا بالنسبة للآباء التحكم في العادات التلفزيونية لأطفالهم الذين هم في سن ما قبل المدرسة، كوضع قواعد لمشاهدة التلفزيون (الفترات - المدة..)، وأيضا

مشاهدة التلفزيون مع الأطفال والتعليق على كل المشاهد التي تثير الخوف والقلق ...

أنشطة مشتركة:

الأطفال في سن ما قبل المدرسة يدركون العالم من خلال ما تقدمه لهم شاشة التلفزيون، مما يحتم على الكبار عموما توجيههم نحو البرامج المفيدة مع ضرورة الحرص على تقديم الشروحات الكافية لهم أثناء فترات المشاهدة.

4- بالنسبة للأطفال المتمدرسين من سن 6 إلى 11سنة:

في السنة الثامنة يبدأ الأطفال في التمييز بين الخيال والواقع، ويغتني قاموسهم اللغوي، كما أنهم يريدون معرفة آراء آبائهم والراشدين من حولهم، لم يعودوا خائفين كما في السابق، لكنهم في المقابل يتصورون أن ما يشاهدونه على شاشة التلفزيون قد يحدث لهم (الربورتاجات حول خطف الأطفال مثلا)

عادة ما يكتسب الأطفال في هذا السن عادة النوم المبكر، إلا أن عددا منهم قد تستهويه البرامج المخصصة للكبار لاسيما أفلام الرعب.

التدخل:

يعتبر الآباء قدوة بالنسبة للأطفال في هذه السن، لهذا يمكنهم التأثير بشكل كبير في أبنائهم وفي العادات التلفزيونية التي اكتسبوها، وذلك من خلال الاقتداء بنوعية ما يراه الآباء على شاشة التلفزيون، لاشك أن الاستماع إلى الأباء وهم يتحدثون عن البرامج التلفزيونية يكسب الأطفال عددا من القيم الاجتماعية. لهذا من الأفضل تدريب هذه الشريحة من الأطفال على امتلاك رؤية نقدية لما يروج في الشاشة وذلك ليصبحوا متفرجين فعالين.

أنشطة مشتركة:

يمكن للآباء تشجيع أبنائهم على أن يصبحوا متفرجين حيويين وإيجابيين بدل أن يكونوا سلبيين من خلال مناقشة البرامج التلفزيونية، وذلك بتقديم الشروحات والانتقادات اللازمة لمحتوى هذه البرامج.

البطاقة 3 : حول ممارسة الأنشطة

هل يمضي أطفالكم مزيدا من الوقت أمام الحاسوب بالمقارنة مع ما يقضونه مع دراجتهم في الخارج؟ هل يفضلون مشاهدة مادة تلفزيونية أم لعب الكرة؟ هل ترون أن أطفالكم لا يقومون بالأنشطة البدنية المناسبة لسنهم؟

أصبح من الضروري بالنسبة للآباء القيام بمصاحبة أبنائهم للعب خارج البيت، حيث أظهرت العديد من الدراسات ما يلي:

- ما يقارب 60٪ من الأطفال لا يحصلون على المعدل المطلوب في اللياقة البدنية ؛

- 40 ٪ من الأطفال ما بين 5 و8 سنوات يعتبرون في عداد البدينين ؛

- يشاهد الطفل التلفزيون مدة 26 ساعة كمعدل أسبوعي ويقضي زهاء 30 ساعة على الكرسي في القسم الدراسي ؛

- تقتصر ألعاب الأطفال في الوقت الحاضر على الحاسوب والأنترنيت وألعاب الفيديو jeux vidéo ؛

- يلجأ الآباء في أغلب الأوقات إلى اصطحاب أبنائهم في السيارة أثناء القيام ببعض الخرجات والجولات؛

تتيح ممارسة الأنشطة البدنية بشكل منظم بالنسبة للأطفال ما يلي:

- تحسن في الأداء الدراسي ؛
- تقوي عنصر التركيز، وتنشط الذاكرة وترفع من كفاءات حل المشكلات ؛
- تقلص من السلوك العدواني ؛
- تخفض من الشعور بالقلق ؛
- تلعب دورا مهما في نمو العظام ؛
- تقلص من حظوظ لجوء المراهقين إلى تعاطي التدخين وتناول الكحول...

من المهم جدا بالنسبة للأطفال والشباب ممارسة الأنشطة البدنية بشكل منتظم، وذلك للنمو بشكل أفضل والحفاظ على صحة جيدة.

حاولوا تشكيل نادي عائلي:

من الأفضل عقد اجتماعات عائلية منتظمة خلال الأسبوع أو عند نهايته بحسب أوقات فراغ أفراد العائلة، مع العمل على خلق أنشطة وألعاب متنوعة ذات طابع حركي بالنسبة للأطفال الصغار وذهنية أكثر بالنسبة للأكبر سنا.

البطاقة 4: استمارة للآباء حول الحياة النشيطة

1. كم عدد المرات التي تشاركون فيها أبناءكم للقيام بأنشطة مشتركة كالمشي، ركوب الدراجة... في الأسبوع؟

أ. مرتين في الأسبوع فأكثر ؛
ب. حوالي مرة في الأسبوع ؛
ج. حوالي مرة في الشهر ؛
د. لا مطلقا.

2. هل تمارسون الرياضة؟

أ. نعم على الأقل 3 مرات في الأسبوع ؛
ب. نعم على الأقل مرة واحدة في الأسبوع ؛
ج. نعم أحيانا (أقل من مرة في الأسبوع) ؛
د. لا مطلقا.

3. كم عدد الساعات التي يقضيها أطفالكم في المعدل أمام التلفزيون؟

أ. 6 ساعات في اليوم أو أكثر ؛

ب. 3 إلى 5 ساعات في اليوم ؛

ج. ساعة إلى ساعتين في اليوم ؛
د. أقل من ساعة في اليوم ؛

4. هل يشارك طفلكم في الحصص الرياضية بالمدرسة؟

أ. نعم بشكل حماسي ومنتظم ؛
ب. نعم دائما لكن بأقل حماس ؛
ج. ينقطع أحيانا ؛
د. لا يود المشاركة.

5. هل يشارك طفلكم في الأنشطة الرياضية والألعاب الحركية خارج المدرسة؟

أ. نعم 3 إلى 5 مرات في الأسبوع ؛
ب. نعم مرة إلى مرتين في الأسبوع ؛
ج. أقل من مرة في الأسبوع ؛
د. لا إطلاقا.

لائحة التنقيط المقترحة

السؤال	أ	ب	ج	د
1	3	2	1	0
2	3	2	1	0
3	0	1	2	3
4	3	2	1	0
5	3	2	1	0

- من 0 إلى 5 درجات: يبدو أنك غير مبالي حاول البحث عن صيغ جديدة.
- من 6 إلى 9 درجات: لا بأس، لكن من الممكن أن تكون أفضل من ذلك.
- من9 الى15 درجة: هنيئًا لك استمر.

البطاقة 5 : هل تعرفون أطفالكم جيدا؟

- استمارة للآباء-

مهما يكن من الوقت الذي نكرسه لأطفالنا، فإننا نجهل دون شك عددا من الأشياء المتعلقة بهم، ولمعرفة إلى أي درجة أنتم مطلعون على دقائق أمورهم نقدم لكم ثلاثين سؤالا تتعلق بالأوضاع المختلفة لأطفالكم.

1. من هو الصديق المفضل لطفلكم؟
2. ما هو اللون الذي يفضله طفلكم (في اللباس، في غرفة نومه ..)؟
3. من هم أبطاله المفضلين؟
4. ما الذي يخيف طفلكم أكثر؟
5. ما الذي يقلقه أكثر؟
6. ما هي المادة الدراسية التي يفضلها أكثر من غيرها وأيضا تلك التي لا يطيقها؟
7. ما هو نوع الرياضات التي يحب ممارستها؟
8. ما هو اللقب الذي ينادونه به أقرانه في المدرسة، في الشارع..؟
9. ما هي الموسيقى التي يحب سماعها؟

10. ماذا يقلقه أكثر في موضوع العائلة؟

11. عندما تريدون أن تختاروا له هدية على ماذا يقع اختياره الأول؟

12. ما هي المادة التلفزيونية التي يفضلها أكثر من غيرها؟

13. ما هو الإنجاز الهام الذي يفتخر به على الدوام؟

14. ما هو الإخفاق الكبير الذي عرفه في السنة الماضية؟

15. ما هي الرياضة المفضلة لديه؟

16. ما هو الكتاب (باستثناء الكتب المدرسية) الذي يتابعه مؤخرا؟

17. ما هي الأشغال المنزلية التي يتهرب من القيام بها: أشغال المطبخ، ترتيب الغرف، جمع النفايات...؟

18. هل ترون أن تفكير طفلكم مناسب لسنه؟

19. ما هي المهنة التي يحلم بممارستها في المستقبل؟

20. ما هي الهدية التي يحبها أكثر من ضمن الهدايا الممنوحة له؟

21. هل يفضل إنجاز واجباته المدرسية عند القدوم من المدرسة مباشرة أو بعد الاستراحة أو قبل الذهاب إلى المدرسة؟

22. من هو معلمه المفضل؟

23. من الذي يمارس عليه بعض التأثير خارج محيط العائلة؟

24. ما هي المناسبة العائلية التي يحبها؟

25. هل يشعر طفلكم بأنه محبوب من لدن رفاقه في المدرسة؟

26. أين يحب قضاء العطلة؟

27. ما هي أنواع التغذية التي يفضلها أكثر؟

28. ما هو الحيوان المفضل لديه؟

29. ما الأمر الذي يجعله يستشيط غضبا؟

30. ما هي الموهبة الخاصة التي يتمتع بها؟

التنقيط:

- إذا تجاوزت إجابتكم 25 سؤالا فأنتم أكثر فهماً لطفلكم وأكثر استماعا له استمروا على هذا المنوال.

- ما بين 14 و24 لديكم معرفة لا بأس بها بطفلكم، لكن من الأفضل أن تحتكوا به أكثر.

- أقل من 14 أنتم في حاجة إلى خلق تواصل فعال مع طفلكم لأنكم بعيدون جدا عن انشغالاته.

لائحة المراجع

الكتب بالعربية :

1. إمام إبراهيم «العلاقات العامة والمجتمع» مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1986
2. بيام جون ماري «التلفزيون كما نتحدث عنه» ترجمة نصر الدين العياطي، دار العيون، الطبعة الأولى 1993 .
3. جيهان رشتي، «الأسس العلمية لنظريات الإعلام»، دار الفكر العربي، بيروت 1987
4. حجازي مصطفي «ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصالة» منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، الطبعة الأولى 1990.
5. دوريس وجريير: سلطة وسائل الإعلام في السياسة، ترجمة أسعد أبو لبدة، دار البشير- عمان، 1999.
6. فرج عبد القادر طه: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح، الكويت 1993.
7. فيليب تايلور : قصف العقول، ترجمة سامي خشبة، عالم المعرفة، الكويت، أبريل 2000.

8. **عيسوي عبد الرحمان :** سيكولوجية الجنوح، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 1984.

9.«الأسرة والطفل في المجتمع المغربي المعاصر»، منشورات عكاظ 1989.

المجلات والجرائد

10. مجلة الإذاعات العربية،بيروت، العدد 3 لسنة 2000.

11. مجلة الدراسات النفسية والتربوية، العدد الأول يناير 1982.

12. مجلة خطوة، المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة، عدد 10 يونيو 2000.

13. مجلة المعرفة، عدد 34 - ماي 1998

14. مجلة المستقبل العربي، بيروت ، مارس1998,

15. مجلة عالم الفكر، الكويت، أكتوبر/دجنبر 1999.

16. مجلة الثقافة الجديدة، عدد23 لسنة1982

17. مجلة النبأ، بغداد، العدد 64 يناير2001.

18. مجلة الوحدة، أكتوبر-نونبر1987

لائحة المراجع بالأجنبية:

19. **M. Chalvon, P. Corset, M. Sochon** : l'enfant devant la téléviosion, Ed. Casterman, Paris 1981.
20. **CAPIN, Jean** L'Effet télévison, B. Grasset et Fasquelle, Paris 1980.
21. **Eric Chevallier, Michèle Bannay, Sylvie Mansour, Isabelle Reste...** La relation enfant-télévision : implications physiques, psychologiques, éducatives et sociales ; Ed. du Centre International de l'enfance, Paris 1991.
22. **FRYDMAN, Marcel**, Télévision et violence : bilan + réponses aux questions des parents et éducateurs, Editions médicales et paramédicales de Charleroi, 1993.
23. **Herve bourges et Pascal josèphe**, Un amour de télévision, Librairie Plon 1989.
24. **JOST, François** Introduction à l'analyse de la télévision - Prais : Ellipses-Marketing, 1999.
25. **Krieget, Blandine** : La violence à la télévision. Ed. P.U.F. Paris 2003.
26. **MEHL, Dominique** : La Télévision de l'intimité - Paris : Seuil, 1996.
27. **SULTAN, Josette et SATRE, Paul** : la télévision à la porté de l'ecole, Institut national de Recherche Pédagogiques 1995.

الفهرس


مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء





الدكتور عبد اللطيف كدائي

من مواليد 1971، حصل على بكالوريا علوم وعلى دبلوم المعهد الملكي لأطر الشبيبة والرياضة، ثم من جديد على بكالوريا آداب عصرية ليلج شعبة الفلسفة بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس ويحصل على الاجازة في علم الاجتماع سنة 1998، تابع دراسته بكلية علوم التربية بالرباط ليحصل على دبلوم الدراسات العليا المتخصصة ثم بعد ذلك على الدكتوراه بقسم علم الاجتماع بفاس سنة 2006.

- له العديد من المقالات والدراسات المنشورة في عدد من الجرائد والمجلات المغربية والعربية ؛
- ساهم في تأطير عدد من الندوات واللقاءات الفكرية والدراسية ؛
- عضو بالجمعية المغربية لتربية الشبيبة منذ 1988 ؛
- عضو بالجمعية المغربية لحقوق الإنسان ؛
- يعمل حاليا رئيس مصلحة برامج التكوين بكتابة الدولة المكلفة بالشباب.